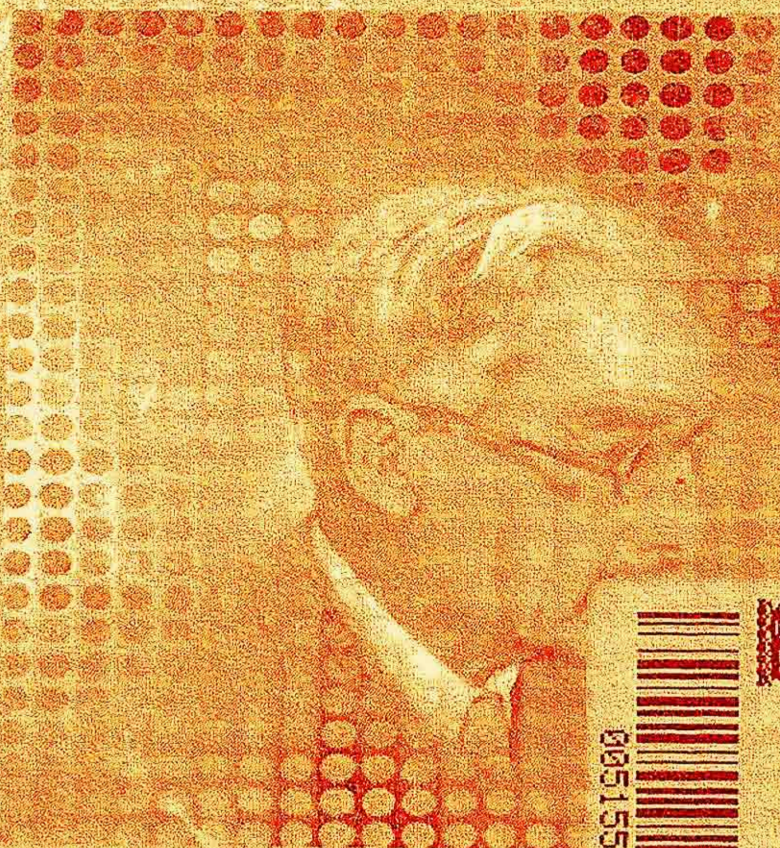
مكتبة الأسرة 1999

مهرجان القراءة للجميع

الروائع

المختار من شعر خليل مطران









الهيئة المصرية العامة للكتاب

المختار من شعر خليل مطران

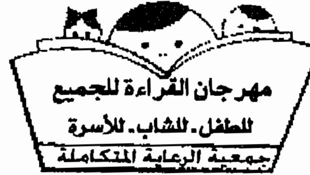
بالتعاون مع منظمة اليونسكو
(كتاب في جريدة)

المختار من شعر

خليـل مطـران

إعـداد وتقديـم

د. سمير سرحان   د . محمد عنانى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الروائع)

المختار من شعر خليل مطران

إعداد وتقديم: د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: **محمود الهندى**
المشرف العام:
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

تصديـــر

لم يلق شاعر من كبار شعراء العربية فى القرن العشرين من التجاهل ما لقيه خليل مطران ، وليس من الصـعب إدراك أسباب ذلك ، وأهمها وأوضحـها طغيان شـهرة معـاصرية ، وعلى رأسهم شـوقى وحافظ على شهرته ، وطغيان شهرته هو مترجماً لشيكسبير على شهرته شاعراً أصيلاً مـبدعـاً ! وهذا من المألوف فـى آداب الأمم الأخرى أيضـاً ، فـإن بعض معـاصرى شـيكسبـير لم يكونوا أقل مـنه عبقـرية وإبداعاً فـى عدد من مسرحيـاتهم وأشعارهم ، ولكن سطوع نجم شيكسبـير وتعلق الإنجليز به تعلقاً غيـر عادى جعل أضواء معـاصريه تخفت بالقيـاس إليه ، وكذلك كان الشأن لدينا فى الموسـيقى مثلاً ، إذ طغت شهرة محـمد عبد الوهاب وأم كلثوم فطمست (أو كـادت) عبقريات ملحنين مبدعين ومطربـين عباقره لا ذنب لهم إلا مـعاصـرة هذين النجمين السـاطعين . وما يزال صـيت خليل مطران مقترناً بترجماته الرائعة والرائدة لبـعض مسرحيات شيكسبير حتى كان الكثيرون - حتى عهد قريب - يدهشون حين يقرأون شعره !

والغريب والمدهش فى هذا أن خليل مطران يجمع بين روح الأصالة التى حمل لواءها قادة مدرسة الإحياء أو البعث ، منذ البارودى ، وبين روح التجديد والابتكار التى أشاعها أصحاب مدرسة أبولو الرومانسية ، وكان يشغل نفسه بشواغل العربية وقضيتها (أو قضاياها) انشغالاً يحسده عليه المتخصصون ، ويهتم بالمسرح اهتماماً يحسده عليه رجال المسرح فى عصرنا ، ولا غرو فإليه يرجع الفضل الأول فى إنشاء المسرح القومى فى مصر ، ولا يملك كل محب لفن المسرح إلا أن يشعر بالامتنان لذلك العمل الفريد .

أما أسباب طغيان شهرة شاعر على شهرة شاعر آخر فهى من أشق الأمور على الراصد ، إذ لا تقتصر على المزايا الفنية أو الفكرية بل تضم ما كان يسميه ماثيو أرنولد بالتقاء قوة الإبداع الفردى مع قوة اللحظة التاريخية ، ويدخل فى حسابها ما يسميه ألدوس هكسلى بعلاقة السوق ، التى تربط الكاتب أو الشاعر بالقارئ ، أما ما يعنيه أرنولد فهو أن الكاتب أو الشاعر الذى يصل إلى الناس فى اللحظة المناسبة تكبر صورته وتتضخم ، بل إنه يصبح جزءاً من هذه اللحظة نفسها ، وكان شوقى يدرك ذلك بحسه الفطرى فأنشأ قصيدته **كبار الحوادث فى وادى النيل** على مشارف القرن العشرين مذكياً بذلك روح الوطنية الناشئة ومستلهماً تاريخ مصر ، فربط نفسه بتاريخ مصر منذ البداية ، وكذلك شُغل حافظ إبراهيم بقضية الاستقلال والوطنية المصرية والنهضة المرجوة ناظراً إلى بناة

الأهرام والأجداد العظام ، وأما ما يعنيه هكسلى فهو إدراك الكاتب أو الشاعر لما يريده القارئ ، وبذله الجهد اللازم للاستجابة إلى حاجاته - صريحة أو مضمرة - وكان يعرف أن الحاجة الأولى هى جمال الصياغة فى إطار البيان والبديع والمحسنات اللفظية ، وصياغة الأبيات التى يسهل حفظها وترديدها لأنها أشبه بالحكم والأمثال السائرة ، فبز فى ذلك حافظاً وتخطاه ، وكان يعرف بفطرته ما قال به كولـديدج من أن الشاعر يسهم فى إيجاد «الحاجة» إلى شعره ، وفى تكوين القدرة على تذوق فنه، فهو يقدم إليهم جرعات تمتزج فيها الأنماط التقليدية التى اعتادوها بالأنماط الجديدة التى يريد لهم أن يتقبلوها ، وتوسل فى ذلك بأسلوب مبتكر هو صوت العبقرى محمد عبد الوهاب ، الذى تمكن بألحانه (التى اتبع فيها أسلوب المزج المذكور نفسه) من الوصول إلى نفوس القراء وعقولهم ، فالأذن هى الباب الذى يدخل منه الشعر إلى النفس والعقل ، ولو لم يَشْدُ عبد الوهاب بأشعار شوقى ما كُتب لها أن تلقى ما لقيت من ذيوع ، بل إن محمد القصبجى عندما أراد إقناع أم كلثوم بأن يلحن لها قصيدة ، لم يجد سوى شوقى ينتخب منه بعض الأبيات ، ولما غنتها أسمهان غضبت أم كلثوم ، وكان مطلع هذه القصيدة الفريدة :

هل تيّم البان فؤاد الحمام   فناح فاستبكى جفون الغمام
هل شفه ما شفنى فانثنى   مبلبل البال شريد المنام

ولو لم يسمع الناس هذه القصيدة من أسمهان ما عرفوا هذا الصانع الماهر ، وكذلك كان حظ إبرهيم ناجى حين غنت له أم كلثوم (الأطلال) وغنى له عبد الوهاب (القيثارة) وحظ حافظ إبرهيم حين غنت له أم كلثوم (مصر تتحدث عن نفسها)-وحظ على محمود طه حين غنى له عبد الوهاب (فلسطين والجندول وكليوباترا) مثلاً ! وقس على ذلك حظوظ غيرهم ممن لم يُغنّ لهم أحد ، أو ممن نالوا شهرة محدودة بسبب عدم اتصالهم بآذان الجمهور !

إن «موضوعات» خليل مطران لا تختلف كثيراً عن موضوعات شوقى وحافظ ، فهو غزير المراثى وشعر المناسبات والإخوانيات والغزل والنسيب والوطنيات ، وما إلى ذلك ، ولكنه لم يكن يهتم بتلك الأسباب التى ذكرناها ، وظل شعره حبيس ديوانه ، قد تتسرب منه قصيدة أو قصيدتان إلى «المناهج الدراسية» فيطلع عليها النشء ، ولكنها تظل محتجبة عن الآذان !

كان مطران مجدداً فى كل شئ - فى الموضوعات والأشكال الشعرية ، فكان من أوائل الشعراء العرب الذين اهتموا بالطبيعة ، مع قادة مدرسة أبولو ، فكتب عن الأزهار والطيور وتحدث عن العواطف المشبوبة .
الشخصية والعامة ، وكان يقترب فى ذلك من مذهب مدرسة الديوان - العقاد والمازنى وشكرى -ولكنه كان يطمح دائماً إلى التجديد ، فكتب ، على نحو ما يتضح من هذه المختارات التى تفخر مكتبة الأسرة بتقديمها

إلى القارئ العربى لأول مرة ، فى أشكال شعرية جديدة ، لعل أجسرها هو قصيدة النثر !

ولد خليل مطران عام ١٨٧١ فى بعلبك - لبنان - وتلقى دراسته الأولى فى مدرسة ابتدائية فى زحلة ، ثم انتقل إلى المدرسة الكاثوليكية فى بيروت حيث استقى اللغة العربية من مناهلها الفياضة على أيدى أبناء أسرة اليازجى (خليل وإبراهيم) وتعلم الفرنسية فأجادها إجادة نادرة ، واشترك فى شبابه فى الكفاح الوطنى من أجل الاستقلال عن الدولة العثمانية ، فتعرض لغضب السلطان العثمانى واضطر إلى الفرار إلى باريس فى عام ١٩٠٠ ، وهناك درس الأدب الفرنسى ونشط للترجمة عن الفرنسية إلى العربية ، ثم لم يلبث أن هاجر إلى مصر فى عام ١٩٠٢ وظل بها حتى توفى عام ١٩٤٩ .

وعلى الرغم من اشتغال مطران بالحياة العامة فى مصر وعمله ذى الجوانب المتعددة - كما يقول الدكتور محمد مصطفى بدوى - بالصحافة والتمويل والتجارة و «الاقتصاد الزراعى - فإنه لم يستطع تحقيق (الصورة) الجماهيرية للشاعر التى كان (العصر) يتطلبها ، فكان كثير التنقل بين مصر والشام ، ولهذا لُقّب بشاعر القطرين ، وكان يلقى أشعاره فى الحفلات العامة ، ويكتب فى التاريخ والفلسفة الأخلاقية ، دون أن ينافس شوقى مثلاً منافسة حقيقية على المستوى الجماهيرى - كما نقول بتعبير هذه الأيام ! والناظر فى هذه المختارات من ديوانه الضخم (أربعة أجزاء)

سوف يرى مـدى التجـديد الذى نجح فى تحقـيقه ، وذلك بـعد أن أثبت قدرته الفـائقة على النظم التقليـدى ، فأخرج قصـيدة نيرون ذات القافـية الموحدة ، والتى يبلغ عدد أبياتها ٣٢٦ بيـتاً ، ولذلك لم يتردد فى كتابة قصيدة النثـر فى رثاء الشيخ إبراهيم اليازجى ، إذ لن يتهمـه أحد بالعجز عن النظم أو الخـوف من قيـد القـافيـة . ولعل أبلغ مـا نختـتم به هذا التصـدير هو تصديره هو لقـصيدته الـطويلة التى لم نستطع إدراجـها فى المختارات وإلا ابتلعت نصف صفحات الكتاب .

يقول مطران لسامعيه قبل القاء القصيدة المذكوره :

تعلمون أن الشعر العربى ، إلى هذا اليوم ، لم تنظم فيه الـقصائد المطولات الكبر فى الموضـوع الواحد ، وذلك لأن التزام القافية الواحدة كان، ولـم يزل ، حائلاً دون كل محاولة من هذا القبيل ، وقد أردت ، بمجهود نهائى ختامى أبذله ، أن أتبين إلى أى حـد تـتـمـادى قـدرة الناظم فى قصيدة مطولة ذات غرض واحـد ، يلتزم لها روياً واحداً ، حتى إذا بلغت ذلك الحـد بتجربتى بـينت عندئذ لإخوانى من الناطقين بالضـاد ضرورة نهج مناهج أخـر لمجاراة الأمم الغربيـة فيما انتـهى إليها رقيـها شعراً وبيـاناً . وفى لغتنا الشريفـة معوان على ذلك ، وأى مـعوان ، إذا أقلعنا عن الخطة التى صلحت لأوقاتها السـالفات ، إذ كانت أغراض

الشعر فيها قليلة محدودة ، ولكنها أصبحت لا تصلح لهذا الوقت الذى بعـدت فيـه مـرامى الألباب ، وصـار فيـه ، بفضل البرق والبخار وسـائر أعاجيب الاختراع ، كل أفق بعيد قريباً ، كأنه وراء الباب .

بل قد أقـول وليتنى أوفق ، فى بعض ما سـأنشده ، إلى إقـامة دليـل ، وإن قل فى شعـرى ، على أن اللغـة العربيـة ، التى تجود علينـا هذا الجود وأيديها مـغلولة عن العطاء بتلك الأغـلال الثقـيلة ، قـادرة - متى فكت عنهـا الربط - على فتح أبواب كنوزها التى لا نهـاية لها ، ومنح شعـرائها - من فـرائد المفردات ، وبدائع الجـمل ، وروائع الاستعارات - ما يبقى لها المقام الأول فى الإعجاز .

أردت - بحـق السن ، وبـحق المـران المتـــــصل ، والارتياض القديم على قرض الشعر - أن أتمشى فى طريقى هذا الجديد بعد أن أكون قـد أثبت ، بنهاية المستطاع ، أن الأسلوب الحـديث لم يتـخذ لعـجـز عن النظم بالقـافيـة الواحدة، بل لرغبة فى نوع آخر من النظم ، يفتح فى وجه واجه أقصى الآفاق ، وييسر له أسباب الوصول إلى أسمى الأغراض ، ويرد على اللغة - من الحيـاة والقوة - ما تعود به عاملاً بين أكبر عوامل الرقى فى الأمم .

بعد أن استقر عزمي على هذا ، رجع إلى ذهنى موضوع تاريخى رائع كنت قد نظمت فيه أبياتاً محدودة ثم تركت الاشتغال به لما بدا لى من وعورة مسالكه ، ومن أن استيفاء أغراضى فيه يدعو إلى التوسع وراء ما يجوز للناظم بالقافية الواحدة أن يفكر فيه . غير أننى ، بعد أن أعدت النظر على القليل الذى كنت قد نظمته ، استعنت الله على الإكمال .

والآن ، يا سادتى ، سأقرأ لكم أكبر قصيدة متحدة الروى ومتحدة الموضوع عرفتها اللغة العربية . هى الكبرى بعدد أبياتها ، وبالغرض الذى نظم له ذلك العدد ، ولكن ما أدرى أية قيمة لها سوى العدد . أتيت بمجهود فى التماس غاية ، وما أتيت بآية .

وهذا التواضع الجم إن دل على شئ فإنما يدل على صدق الشاعرية وعمقها .

وسوف يجد القارئ فى هذه المختارات ، التى يسعد مكتبة الأسرة أن تقدمها لأول مرة ، كل ممتع بهيج ، وكل جديد مثير ، على الرغم من انقضاء نصف قرن على رحيل هذا العبقرى .

والله من وراء القصد ،

مكتبة الأسرة

١ بدر وبدر

حَسْنَاءُ لكِنْ نَفُورُ بَادٍ عَلَيْهَا الفُتُورُ

إِذَا رَنَتْ غَارَ مِنْهَا فِي الْحَيِّ عِينٌ وَحُورُ(١)

وَإِنْ تَمِسْ فَإِلَيْهَا مُنَى النُّفُوسِ تَطِيرُ

لاَ تكْسِرُ الجَفْنَ إلاَّ وَقَلْبُ صَبٍ كَسِيرُ

ولاَ تَبَسَّمُ إلاَّ وَجَفْنُ بَاكٍ يَمُورُ(٢)

ولاَ تَلَفَّتُ إلاَّ وَجِيرَةُ الحَيِّ صُورُ(٣)

يَا قُرَّةً لِعُيُونِي فِي الصَّدْرِ مِنَّا سَعِيرُ

كَمْ جِئْتُكُمْ مُسْتَزِيراً وَطَيْفُكُمْ لاَ يَزُورُ(٤)

---

(١) رنت : نظرت . حور : الحور ذوات العيون الجميلة .

(٢) يمور : يسيل .

(٣) صور : مائلة أعناقهم . (٤) مستزيراً : طالباً الزيارة .

إنْ كَانَ صَبْرِى قَلِيلاً ... فَإنَّ وَجْدِى كَثِيرُ
لَيْسَ المُحِبُّ صَدُوقاً ... فِى الحُبِّ وَهْوَ صَبُورُ
يَابَدْرُ سُمِّيتَ بَدْراً ... وَأَيْنَ مِنْكَ البُدُورُ ؟
أَيْنَ الجَمَادُ مُنِيراً ... مِنْ ذِى حَيَاةٍ يُنِيرُ ؟
أَيْنَ الصَّبَاحَةُ فِيهِ ... وَأَيْنَ مِنْهُ الشُّعُورُ ؟
أَيْنَ السَّنَى وَهْوَ شَيْبٌ ... مِنَ الصِّبَى وَهْوَ نُورُ ؟
لَمْ أَنْسَ حِينَ التَقَينَا ... وَالرَّوْضُ رَاهٍ نَضِيرُ
إذِ العُيُون نيام ... وَاللَّيْلُ رَاءُ حَسِيرُ(1)
وَفِى الهَواء حَنِينٌ ... مِنَ الهَوَى وَزَفِيرُ
ولِلمِيَاه أنين ... تَذُوبُ مِنْهُ الصُّخُورُ
ولِلنَّسِيم حَدِيثٌ ... عَلَى المُرُوجِ يَدُورُ
وَلِلأَزاهر فِكْرٌ ... يَرْوِيهِ عَنْهَا العَبِيرُ
تَدْنُو إليه فتلقي ... تَحِيَّةً وَتَسِيرُ

---

(١) والليل راء حين : يراد به الليل الذى رقت ظلمته فشفت عن ضياء ضئيل كرؤية الأحسر ذى النظر الضعيف .

لَهْفِي عـليـــــه زمـــانــاً   ولَّى فَوَلَّى الــــــــــسُّرُورُ

مَضَى قـــصـــيـــراً ولـكن   لِلـسَّعْدِ عَهْدٌ قَصِيـــــــــرُ

٢ الزهـــر

أهديت إلى إحدى عقائل المجد من السيدات المحسنات فى باريس

آذَنَتِ الــشَّمْسُ بِالـــتَّوَارِى   وَقَـــدْ طَــوَتْ رَايَةَ الأصِيـــلِ
وأَقْبَلَتْ زِيـــنَةُ الـــدَّرَارِى   تَشْفِى بِلأْلاَئُهَـــا الْغَلِيـــلِ



كَمْ كَوْكَبٍ فــى الــظَّلاَمِ يَبْدُو   لَكِنَّهَـــا رِيَّـــةُ الـــنُّجُومِ
لَهـــا جَـوَارٍ مِنْهَـا وَجُنْدُ   كَجَوْهَرٍ حَوْلَهـــا نَظِـيمِ
هَوَاؤُهَـــا عَنْبَرٌ وَنَـــدٌّ   غِذَاؤُهَـــا الـــنُّورُ وَالـــنَّعِيمِ
تَسْـــرَحُ مَنْشُورَةَ الـــرِّدَاءِ   فِى مَسْرَحِ الـلَّهـــوِ والذُّهُول
خَائِضَةٌ أَبْحُـــرَ الـــهَنَاءِ   فِـــى نَسَـــمٍ كُلُّهَـــا قَبُـــول



لَكِنَّهَا غَادَةٌ غَيُورُ   – وأَيُّ حَسْنَاءَ لاَ تَغَارْ – ؟
فَرُبَّمَا سَاءهَا نَظِيرُ   تَرَى غَدِيراً بِهِ اسْتَنَارْ
فَكَادَ مِنْ لَحْظِهَا يَثُورُ   نَبْعٌ طَفُورٌ مِنَ الشَّرَارْ
مَنْ يَخْلُ مِنْ شَاغِلِ الْعَنَاءِ   فَوَهْمُهُ الشَّاغِلُ الثَّقِيلْ
رَسْمُكِ هَذَا فِى حَوْضِ مَاءِ   يَامَنْ تَنَزَّهْتِ عَنْ مَثِيلْ



هَوَاكِ عَذْبٌ بِلاَ عَذَابِ   ومنْكِ تَخْلُو لَنَا الشُّجُونْ
وَفِيكِ ضَوْءٌ بِلاَ الْتِهَابِ   تَقَرُّ مِمَّا صَفَا الْعُيُونْ
وَحَبَّذَا أَنْتِ فِى اضْطِرَابِ   وَحَبَّذا أَنْتِ فِى سُكُونْ
كَلَمْعَةِ السَّعْدِ فِى الشَّقَاءِ   كَدَمْعَةِ الوَجْدِ فِي المَسِيلِ
كَالبِكْرِ بِالحُسْنِ وَالْحَيَاءِ   وَغَضُّهَا طَرْفَهَ الكَحِيلِ

٣ الوردتـــان

اطلعت على الموشحة الآنفة آنسة شرقية من أوانس البيوتات المشهورة . . فبدا للناظم أنها تتمنى أن ينظم مثلها ويهديها إليها. فأجابها إلى ما تمنت

تَبَـــارَكَ اللهُ فَهْـــوَ لَمَّـــا   أَرَادَ أَنْ يُبْـــدِعَ الـــكِيَانْ
أَبْـــدَاهُ فِكْـــرَهُ ، وَلَمَّـــا   يَقُـــلْ لِمَـا شَـــاءَ كُنْ فَكَانْ



فَجَاءَ ذَا الـــعَالَمُ الـــعَظِـــيمُ   لَفْظـــاً لِفِكْرٍ تَصَـــوَّرَهْ
أَلـــشَّمْسُ وَالأَرْضُ وَالـــنُّجُـومُ   مِـــنْ مُظْلِمَـــاتٍ وَمُبْصِرَهْ
كَأَحْرُفٍ سِفْرُهَـــا الرَّقِـــيمُ   مُذْهَبَـــةٍ أَوْ مُحَـــبَّرَهْ(١)
جَمِيـــعُهَا اسْمٌ وَهْوَ الْمُسَمَّى   فِي سَعَةِ الخَلْقِ وَالـــزَّمَانْ

---

(١) سفرها الرقيم : كتابها فضاء السماء .

وَكُـلُّ حَـرْفٍ حَوَى لَهُ اسْمـــاً يَضِـــيقُ عَنْ ضَمِّهِ المَكَانْ
وَنَـــوَّرَ اللهُ بِابْتِسَـــامِ تَمْثِـــيلُهُ الْبَاهِرُ الـبَدِيـعْ
وَزَانَ مَا فِيـــهِ مِنْ نِظَـامِ بِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ الـــبْدَيـــعْ
فَعَقَّبَ الـــشَّمْسَ بِالـــظَّلاَمِ وَدَبَّجَ الـــعَامَ بِالـــرَّبِـــيـــعْ
وَأَنْهَضَ الـــشَّاهِقَ الأَشَـــمَّا وَأَقْعَـــدَ الْغَـــوْرَ فَاسْتَكَانْ(١)
وَمَدَّ مَنـــهُ جَـــرَى خِضَمّاً وَتَحْتَهُ الـــنَّارُ فِـــى أَمَانْ(٢)



يَا رَبِّ أَعْظِـــمْ بِـــنْ وَضَعْتَ فِى الْكَـــوْنِ مِنْ آيِكَ الْعِظَـامْ(٣)
أَدَقُّ شَـــئٍ مِمَّا صَنَعْـــتَ كَجُمْلَةِ الخَلْـــقِ بِالـــتَّمَامْ
وَكُـــلُّ جُزْءِ بِـــهِ جَمَعْتَـــا عَجَائِبَ الْكُـــلِّ حَيْثُ قَـــامْ
نَثَرْتَ نَثْراً فَجَـــاءَ نـــظـــمًا بَدِيعُـــهُ حِلْيَـــةُ الْبَيَـــانْ
لَكِنَّ فِى صـــنـــعـــكَ الجَلِيـــلِ أَحَـــبُّ شَـــئٍ لَنَا الـــزَّهَرْ

---

(١) الشاهق الأشم الجبل العالى . السور : المتطامن من الأرض .
(٢) خضماً : بحراً .
(٣) آيك : آياتك .

خَلَقْتَهُ نهْجــةَ الـعـــقـــول   وَمَرْتَعَ الـــنَّحْلِ وَالــــفِكَرُ
نَكَادُ مِنْ خَلْقـــه الجـــمـــيل   نَسْتَجْمِعُ الـنَّفْسَ فِى الــبْصَرَ
عَبــــيرُهُ لا يُمَلُّ شــمــــا   يَرَوِّحُ الـقَلْبَ وَهْوَ غـــــان
ونُورُهُ قَد يِقــال فـــهــمــاً   لِمَا يُرَى فِيـــــهِ مِنْ مَعَــانْ



طَوَائِفٌ هــــــذِهِ الأزَاهِر   وَكُــلُّ حِزْبٍ لَهُ أَمِيــــــــرْ
مَلِيــكُهَا الـورد لا يــكـابـر   مـنَاظِرٌ فِيــــــــهِ أَوْ نَظِيرْ
تَقَلَّدَ الـتـــاجَ مـن جَوَاهِر   وَقَــامَ لِلـحُكْمِ فِى الـسَّرِيــرْ
لَكِنْ يقَوُلُونَ جُــرْتِ ظُلْمــاً   فِي الــزَّهْرِ يَا وَرْدَةَ الجِنَــانْ
لأَنْـــتِ أَبْهَـــى وأَنْتِ أَسْمَى   مِنْ أَنْ تُقِيـــمـى لِلْعَـدْلِ شَانْ



خُلِقْتِ بَيْضَــاءَ كَالرَّجــــاء   فَهَامَ فِــى حُبِّكِ الـنَّسِيــمْ
فَــرَاحَ مُذْ دَارَ فِــى الــفَضَاءِ   مُقَبِّـــلاً ثَغْرَكِ الـــوَسِيمْ
فَبِــتُّ فِــى حُمْرَةِ الحَيَـــاء   لِذَلِكَ المُنْكَـــرِ الجَسِيـــمْ

ذَنْـــبٌ تَحَلَّلْتُمَـــاهُ قِدْمَـــا   فَلَبِثَ الْـوَرْدُ وَهْـــوَ قَـانْ(١)
كَذَاكَ جَـــاءَتْ حَـــوَّاءُ إِثْـمَا   فَعُوقِبَ النَّسْلُ غَيْـــرُ جَـانْ



فَدَتْكِ مَهْمَـــا كَسَبْتِ وِزْرَا   أَزَاهِرُ الـــرَّوْضِ وَالحِجَالْ(٢)
أَلاَ فَتَـــاةٌ أَجَـــلُّ قَـــدْراً   كَرِيمَـــةَ الخُلْـــقِ وَالخِـــلاَلْ
تَبَرُّ بِالـــبَائِسِينَ بِـــرّاً   وَتَشْتَرِي أَنْفُـــساً بِمَـالْ
كِلْتَـــاكُمَا ، وَرْدَةٌ تُسَـمَّى   لَكِنَّهَـــا وَرْدَةُ الحِسَـــانْ
وَأَفْضَـلُ الْوَرْدَتَيْنِ حُكْمَـــاً   جَمِيـلَةُ الْقَلْـبِ وَالـلِّسَانْ

---

(١) قان : أحمر .

(٢) كسبت وزراً : جنيت ذنباً . الحجال : مقصورات النساء .

٤ تهنئـــة

لسمو الخديو عباس الثانى على أثر فتح السودان

أَلـــنِّيـــلُ عَبْدُكَ وَالمِيَاهُ جَوَارِى   بِاليُمْنِ وَالبَرَكَاتِ فِيـــهِ جَوَارِ[1]

أَمَّنـــــــتَهُ بِمَعَاقِلٍ وَجَوَارِى   وَجَعَلْتَهُ مُلْكــا عَزِيـــزَ جِوَارِ[2]

أُنْظُرْ سَفَائِنَكَ الَّتِى سَيَّرْتَهَا   فِيـــــــهِ كَأَطْوَادٍ عَلَى التَّيَّارِ

تَجْرِى «بِسَيِّدِ مِصْرَ» فُلْكٌ ضَمَّهَا   فُلْـــكٌ مِنَ الـــدَّأْمَاءِ غَيْرُ مُدَارِ

سَيَّارَةٌ جُنْحَ الـظَّلَامِ مُنِيـــــرَةٌ   فِى الأُفْقِ مِثْلَ الـكَوْكَبِ السَّيَّارِ

أَو يَسْتَقِلُّ بِهِ مُغِيـــــرٌ مُنْجِدٌ   جَوَّابُ آفَاقٍ كَبَرْقٍ وَارِي

تَتَقَذَّفُ الـنِّيـــــرَانُ مِنْهُ كَأَنَّهُ   أَسَدٌ مُثَارٌ فِى طِلَابَةِ ثَــــــارِ

سِرْ كَيْفَ شِئْتَ لَكَ القُلُوبُ مَنَازِلٌ   أَنَّى انْتَقَلْتَ فَمِصْرُ فِى الأَمْصَارِ

---

(١) جوارى : خوادم .

(٢) جوارى : سفن .

أَهْلاً بِرَبِّ الـنِّيـلِ وَالـوَادِى بِمَا فِيـــــهِ مِنَ الأَرْيَافِ وَالأَقْطَارِ
بِالعازِمِ الـعزمَات وَهَي صَوَادِقٌ وَمُعَاقِبِ الـظُّلُمَاتِ بـــالأَسْحَارِ
بِالفَاتِحِ الـبَانِى لِمِصْرَ مِنَ العُلَى صَرْحـــــاً يُزَكِّى شَاهِدَ الآثَارِ
وَمُعَقِّبِ الفَخْرِ التَّلِيـــدِ بِطَارِفٍ لَوْلاَهُ كَادَ يكُونَ سُبَّةَ عَارِ
فَخْرٌ تَحَوَّلَ مَهْدُهُ لَحـــــداً لَهُ زَمَنــاً وَعَادَ الـــيَوْمَ مَهْدَ فَخَارِ

٥ الى

جميـــــلة أديبـــة

يَا عيُوناً تَسْقى العيُونَ الـرَّحيـقَا وَاصِلي مُدْمِناً أَبَى أَنْ يُفــيِقَا(١)

أَسْكِرِيـنـى عَلَى الـدَّوَامِ وَأَفْنِى مُهْجَتى أَدْمُعــاً وَعَزْمِى حَرِيـقـاً

تِلْكَ خمرُ الْحـيَاةِ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا مرة لَيْسَ بِالحَيَاةِ خَليــــــــقَا

وَهْىَ حُسْنُ الْحيَاةِ سَعْداً وَبُؤساً وَاصْطِبــاحــاً لشَرْبِهَا وَغَبُوقَا(٢)

أَنْت يَا مَنْ سَقَتْ فُؤَادِىَ مِنْهَا حَرَّ وَجْدٍ وَلَوْعَة وَخُفُوقَا

إِظْلمـينى مَا شَاءَ ظُلْمُكِ وَانْهِى آمِرَ الحُسنِ أَنْ يَكُونَ شَفــــيقَا

عَذِّبيـنى فَقَدْ جَنَيْتُ عَلَى نَفْســـ ـسى وَأَمْسَيْتُ بِالْعِقَابِ حَقِيــقَا

فَلِهَذَا الْعِقَابِ عَاوَدْتُ حُبِّى وَلأَلْقَاهُ خُنْتُ عَهْداً وَثـيــــــقَا

---

(١) الرحيق : الخمر . مدمناً ، المدمن : دائم السكر .

(٢) شربها : شاربيها . الاصطباح والاغباق : شرب الصباح وشرب المساء .

رُبَّ لَيْلٍ مُحَيَـــرُ النَّجْمِ غَضٌّ   فِيـهِ لاَ يَهْتَدِى الضُّلُولُ طَرِيـقـاً
ضَمَّنِى مُثْقَــــلاً بِهَمٍّ كَبَحْرٍ   ضَمَّ فِى جَوْفِهِ الْبَعِيــــدِ غَرِيقَا
أَحْسِبُ السُّرْجَ فِى حَشَاهُ قُرُوحًا   وأَرَى الـشُّهْبَ فِى سَمَاهُ حُرُوقَا
فِيـهِ نَامَتْ «سُعَادُ» نَوْمًا هَنِيـئـاً   وتَسَهَّــــــدْتُ مُسْتَهَامًا مَسُوقَا



حَيْثُمَا وارَتْنِى دُجَاهُ غُرُوبـــــاً   أَبْصَرَتْنِى عَيْنُ الــــصَّبَاحِ شُرُوقَا
قَدْ تَلَقَّيْتُهُ وكَانَ كَثِيـــفــــاً   ثُمَّ وَدَّعْتُهُ وكَانَ رَقِيـــــــقَا
رَقَّ فَانْحَلَّ فَانْتَفَى غَيْرَ مُبْقٍ   لِيَ مِنْهُ إِلاَّ خَيَالاً دَقِـــيـــقَا
ظَلَّ فِى جَانِى نَحِـيلاً نُحُولِى   كَالشَّقِيقِ الأَبَرِّ يَرعَى شَقِـيـقَا



أَيُّهَا الـنَّائِــمُونَ يَهْنِيكُمُ الـنَّوْ   مَ ولاَ زَالَ حَظَّيَ الـتَّأْرِيـــقَا
إِنْ يَكُ السَّاهِرونَ مِثْلِى كَثِـيـراً   «فَسُعَادُ» أَسَمَى وأَسْنَى عَشِيقَا[1]
فَاتِنِى مِنْ جَمَالِهَا الْوَجْهُ طَلْقــاً   لاَ يُبَاهَى ، والْقَدُّ لَدْناً رَشِيــقَا

---

(١) عشيقاً : معشوقة .

فَاتِنِى عَقْلُهَا الَّذِى يُبْدِعُ الْخَا   طِرَ روحًا وَهَيْكَلاً وَعُرُوقَا
فَاتِى نَظْمُهَا الْقَرِيضَ كَمَــا تَنْظـ   ـظِمُ عِقْداً فِى جِيدِهَا مَنْسُوقَا[1]
فَاتِنِى لُطْفُهَا الَّذِى يُنْعِشُ الوَجْـد   وَلَوْ شَاءَ أَنْعَشَ التَوْفِـــيـــقَا
ويَقِيمُ الآمَالَ فِى الـنَّفْسِ كَالـنُّو   رِ يُحـيـلُ الْبُذُورَ زَهْراً أَنِيـقَا[2]
فِتَنٌ قَيَّدَتْ بِهِنَّ فُؤَادِى ،   وَأَرَانِي - إِذَا شَكَوْتُ - عَقُوقَا
كُلُّ مُسْتَأْسَرٍ يَوَدُّ انْطِلاَقــــــاً   وَشَقَائِى بِـأَنْ أَكُونَ طَلِيــــقَا

---

(١) القريض : الشعر .
(٢) انيقاً : جميلاً .

٦ النرجسة

دَاعٍ دَعَاهُ إلَى الْجِهَادِ فَأَزْمَعَا ... سَفَراً وَجَادَ بِنَفْسِهِ مُتَطَوِّعَا
غَلَبَتْ حَمِيَّتُهُ هَوَاهُ لِعِرْسِهِ ... فَنَأَى وَوَدَّعَ قَلْبَهُ إذْ وَدَّعَا[1]
وَقَضَتْ «أَمِيـــنَةُ» بَعْدَهُ أَيَّامَهَا ... فِى الْحُزْنِ غَيْرَ أَمِيــنَةٍ أَنْ تُفْجَعَا
غـــرَسَتْ بِصَحْنِ الدَّارِ زَهْرَةَ نَرْجِسٍ ... لِتَكُونَ سَلْوَتَهَا إلـــى أَنْ يَرجِعَا
كَانَتْ تُبَالِغُ فِى رِعَايَتِهــــا كَمَا ... تَرْعَى عُيُونُ الأُمِّ طِفْلاً مُرْضَعَا
حَتَّى إذَا مَا جَاءهَا عَنْ بَعـــلِهَا ... نَبَأٌ أَصَمَّ المِسْمَعَيْنِ وَرَوعَا
شُقَّتْ مَرَارَتُهَا عَلَيْهِ وَأَوْشَكَتْ ... مِنْ هَوْلِ ذَاكَ الخَطْبِ أَنْ تَتَصَدَّعَا
وَكـــأَنَّ ذَاكَ الرُّزْءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ ... مِمَّا شَجَاهَا لَمْ يَكُنْ مُتَوقَّعَا[2]
فَتَفَقَّدَتْ صُبْحـــاً أَلِيـــفَتَهَا الَّتِى ... كَانَتْ سَلَتْهَا حَسْرَةً وَتَوجُّعَا
فَإذَا نَضَارَتُهَا ذَوَتْ وَكَأَنَّهَا ... عَيْنٌ أَسَالَ الحُزْنُ مِنْهَا مَدْمَعَا

(١) عرسه : عروسه .
(٢) الرزء : المصاب .

٧ الحمامتان

حديث واقعة شهدها الناظم فى ليلة سهاد فكتبها وجعلها وسيلة استعطاف

يَا مَـــنْ أَضَاعُـــوا وِدَادِى رُدُّوا عَلَـــــىَّ فُـــؤَادِي
رُدُّوا سُرُوراً تـــــقَضَّى وَمَا لَـــــهُ مِنْ مَعَـــادِ
أَشْـكُو إلَى اللهِ ســـقْمِي فِى بُعـــــدْكُمْ وَسُـهَادِى
هَذَا شَقَائـــــى فِيـــكُمْ يَا غِبْطَــــةَ الْحُسَّـــادِ



ولَيْلَةٍ بـــتُّ فِيــــــهَا وَقَدْ جَفَـــانِى رُقَـــادِى
تُفْنِــــى الـــدَّقَائِقُ قَلْبِى وَرْيـــاً كَوَرْى الـــزِّنَادِ(١)
مِنَ الـــصَّبَابَةِ مَهْـــدِي وَمِـــنْ سَقَامِـى وِسَـادِى(٢)

(١) ورى الزناد : قدح الزناد .

(٢) وسادى : فراشى .

رَاعَـــــتْ حَشَـــــاىَ بِنَوْحِ حَمَامَــــةٌ فِــــى ارْتِيَــــادِ
مُرْتَاعَـــــةٌ لأَلِـــيـــفٍ لَمْ يَــأتِ فِــي الميــــــعَادِ
تـــــرُنُّ إِرْنَانَ ثُكْلَـــــى مَفْـــــــــقُــودَةِ الأَوْلاَدِ
والـلَّيْــلَ دَاجٍ كَثـــــيفٌ كــــــــأَنَّه فِــي حِــدَادِ
تَرُوحُ فِيـــــــهِ وتَغْــدُو كَثـــــيـــــــرَةَ الـتَّرْدَادِ
مَـــا بَيْنَ غُصْـــــنٍ وَغُصْنٍ لــــهَا طَـــوَافُ افْتِقَـــادِ
ولَـــمْ تَزَلْ فِـــى هـــيَامٍ وَحَـــــيْرَةٍ وَجِهَــــــادِ
حتَّـــى اسْــتَقَرَّتْ عَيَــاءً مِنْ وَثْبِهَـــا الْمُتَــــمَادِى
مُنْحَلَّةَ الْعَـــزْمِ لَيْسَـــتْ تَقْــوَى عَلَــى الإِنْشَـــادِ
ظَمْأَى إِلَى المَـــوْتِ رَيَّـــا مِــنَ الأَسَـــى وَالْبِعَـــادِ[1]
وَكَانَ يَسْعَى إِلَيْهَـــــــا أَلِـيفُهَـــــا غَيْرَ هَــادِى
يَرْتَـــادُ كُـــلَّ مكَـــانٍ فِــى إِثْرِهَـــا وَهْــوَ شَــادِى
حتَّـــى إذَا سَـــمِعَتْهُ بِالْقُـــرْبِ مِنْهَـــا يُنَــادِى

(١) ريا : مرتوية .

عَادَ الرَّخَاءَ إِلَيْهَا لَكِنْ بِغَيْرِ مُفَادِ
إِنَّ الرَّجَاءَ مُعِينٌ وَمَا الرَّجَاءُ بِفَادِ
هَمَّتْ تَطِيرُ إِلَيْهِ لَكِنْ عَدَتْهَا عَوَادِى
فَوَدعَتْهُ بِنَوْحٍ مُفَتِّتِ الأَكْبَادِ
وَكَانَ آخِرَ سَجْعٍ لَهَا عَلَى الأَعْوَادِ



يَا مَنْ نَأَوْا عَنْ عُيُونِى وَرَسْمُهُمْ فِى السَّوَادِ
وَأَجْهَدُوا الفِكْرَ وَثْباً إِلَيْهِمُ فى الْبِلاَدِ
واسْتَنْفَدُوا زَفَرَاتِى وَأَدْمُعِى وَمِدَادِى
إِلَى مَ أَغْدُو حَزِيناً فِى غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ ؟
لِى فِى الْحَيَاةِ مُرَارٌ وَأَنْ أَرَاكُمْ مُرَادِى
لاَ تَجْعَلُوهُ وَدَاعِى عِنْدَ الْمَمَاتِ وَزَادِى

٨ تقـــريظ

لديوان شوقي

ضَمِنْتَ لِهَذَا الـعَهْدِ ذِكْراً مُخَلَّدَا   وجَدَّدْتَ لِلإسْلاَمِ مُعْجِزَ أَحْمَدَا
وَبِتَّ لِمِصْرٍ بِالمَفَاخِرِ مَحْتِداً   وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ لِلْمَفَاخِرِ مَحْتِداً
أَطَافَ بِهَا لَيْلَ مِنَ الجَهْلِ حَالِكٌ   وَصُمَّتْ بِهَا الأَسْمَاعُ عَنْ دَعْوَةِ الْهُدَى
فَإِنْ قَلَّبَ المَحْزُونُ فِى الأُفْقِ طَرْفَهُ   فَلَيْسَ يَرَى إلاَّ ذَكَاءكَ فَرْقَدَا
وَمَنْ تَدْعُهُ يُرْدُدْ نِدَاءكَ لاَ يُجِبْ   كمـا رَجعَ الصَّخْرُ الأَصَمُّ لَكَ الصَّدَى



لَكَ اللهُ مِنْ شَاكٍ عَنِ النَّاسِ دَهْرَهُمْ   عَلَى حِينَ لَمْ يَشْكُوا وَقَدْ جَارَ واعْتَدَى
وَمِنْ سَاهِرٍ يُفْنِى مَنَارَ حَيَاتِهِ   ضِيَاءَ لِيَــهْدِى غَـــافِلِينَ وَرُقَّدَا
وَمِنْ نَاظِمٍ لِلْمُلْكِ تَاجَ فَرَائِدٍ   مِنَ المَدْحِ: تِيجَانُ المُلُوكِ لَهُ فِدَى

وَمِنْ مُنْشِدٍ يُحْيِى فَخَارَ جُدُودِهِ ... فَيُكْسِبُهُمْ مَجْداً بِذَاكَ مُجَدَّدَا
إِذَا النَّسْلُ لَمْ يَحْفِلْ بِذِكْرِ جُدُودِهِ ... فَإِنَّ لَهُمْ مَوْتاً بِهِ مُتَعَدِّدَا
قَوَافٍ يَزِينُ الشِّعْرَ حُسْنُ نِظَامِهَا ... كَمَا ازْدَانَ كَأْسٌ بِالْحَبَابِ مُنَضَّدَا
وَسَبْكٌ يُعِيدُ اللَّفْظَ لَحْناً مُوَقَّعاً ... وَيُبْدِى لَنَا المَعْنَى الخَفِىَّ مُجَسَّدَا



أَسِحْراً تُرِينَا أَمْ صَحَائِفَ كُلَّمَا ... نُقَلِّبُهَا وَجْهاً نَرَى عَجَباً بَدَا
فَبَيْنَا هِىَ الرَّوْضُ الذى تَشْتَهِى المُنَى ... تَعَاشَقَ فِيهِ النُّورُ وَالطِّيبُ وَالنَّدَى
إِذَا هِىَ أَنْهَارٌ تُقِرُّ عُيُونَنَا ... إِذَا هِىَ نِيرَانٌ تَثُورُ تَوَقُّدَا
إِذَا هِىَ أَفْلاَكٌ بُسِطْنَ وَأَبْحُرٌ ... أَغَارَ بِهَا الْفُلْكُ الصَّغِيرُ وَأَنْجَدَا
إِذَا هِىَ آجَامٌ تَمُوجُ بِأُسْدِهَا ... وَأَوْدِيَةٌ يَرعَى بِهَا الظَّبْىُ أَرْبَدَا
إِذَا هِىَ عِيسٌ فى البَوَادِى مُجِدَّةٌ ... تَسِيرُ وَلاَ سَيْرٌ وَتُحْدَى وَلاَ حِدَا
إِذَا هِىَ حَرْبٌ يَخْلَعُ الْبِيدَ جَيْشُهَا ... نِعالاً مَتَى هَبُّوا وَثُوباً عَلَى العِدَى
إِذَا هِىَ أَجْيَالُ الزَّمَانِ مُعَاهِداً ... بِهَا آدَمٌ مُوسَى وَعِيسَى مُحَمَّدَا
بَيَانُكَ سَيْفٌ لِلْحَقِيقَةِ سَاطِعُ ... ذَلِيلٌ بِهِ الْبَاغِى قَتِيلٌ بِهِ الرَّدَى

بِشِعْرِكَ فَلْيَحْىَ الَّذِى جَلَّ فَضْلُهُ   وَمَاتَ جَدِيــــراً بِالْفَخَارِ مُؤَبَّدَا
وَذُو العِلْمِ فَلْيَخْتَرْ كِتَابَكَ مُؤْنِساً   كَرِيماً وَأُسْتَاذاً حكِيــماً وَمُرْشِدَا

٩ شهيد المروءة

وشهيدة الغرام

(قصيدة قصصية)

سَيِّدَتـــــــــى إِنْ تُفْسِحِى لِى بِالْكَـــلاَمِ فَاسْـــمَحِى
أَقُصُّـــــــصْ عَلَى قُـــرَّاءِ نَشْـــــرَتِكِ الْغَــــرَّاءِ
بِالــــنَّثْرِ أَوْ بِالـــــشِّعْرِ أَيُّهمَــــــــا لاَ أَدْرِى
حـــــــــــادِثـــةٌ غَرِيـبَهْ مَاهِـــــىَ بِالْمَكْــــــذُوبَهْ
أَنْقُلُهَـــــــــــــــا مُمَثَّلَهْ مُجْمَــــلَةً مُفَصَّـــــــلَهْ
كَمَا جَرَتْ أَمَامـــــــــــِى فِـــى قَـــرْيَةٍ بِالـــشَّامِ



وَذَاكَ أَنْ ذِيبـــــــــــــاَ مُسْتَضْخَمـــــاً مَهِيـــــبَا

طَرَقَهَا أَصِيـــلاَ   يَـبْغِى بِهَا مَقِيـــلاَ
فَخَـــرَجَ الـــرِّجَـــالُ   إِلَيْـــهِ وَالأَطْفَـــالُ
فِـــى هَـــرَجٍ وَمَـــرَجِ   وَلَجَـــبٍ مُمْتَـــزِجِ(١)
أَتَاهُـــمُ الإِنْبَـــاءُ   مُبَاغِتـــاً فَجَاؤُوا
عُـــزْلاً بِـــلاَ سِـــلاَحِ   يُرْجَى سِوَى الـــصِّيَاحِ
وَوَقَفُوا بَعِـــيدَا   يُـنَفِّرُونَ الـسِّيـــدَا(٢)
وَانْتَظَمُـــوا هِـــلاَلاَ   لِيُقْفِـــلُوا المَجَالاَ
فَامْتَنَـــعَ الـــدُّخُـــولُ   عَلَيْـــهِ وَالْقُفُـــولُ
فَهْـــوَ أَمَـــامَ سُـــورِ   يَمْشِـــى مِـــنَ الْحُضُـــورِ
وَخَلْفَهُ هِضَـــابُ   شَوَامِـــخٌ صِعَـــابُ
وَلَـــمْ يُحَـــاوِلْ هَرَبَا   مِـــنْ حَيْثُ كَـــانَ كَلِبَا
عَيْنَـــاهُ شُـــعْلَتَانِ   يَرْنَحُ كَالـــسَّكْرَانِ
مُنْتَقِـــلاً عَلَى مَهَـــلْ   كَالـــظِّـــلِّ فِى سَفْحِ الْجَبَلْ

(١) لجب : ضجيج .
(٢) السيد : الذئب .

وَبَيْنَمَـــــا الجُمْهُـــورُ حَـــيْرَانُ مُسْتَطِيــــــــــرُ
دائـــــرةٌ مُشْتَبـــــكَهْ فِــــى سكْنَةٍ وَحَرَكَـــــهْ
كَالـــــبَحْرِ ذِى الـــــهِيَاجِ فِــــى مكْســـــرِ الأَمْوَاجِ
طَوْراً وَطَــــوْراً جَامِــــدُ كَالْمَـــــاءِ وَهْــــوَ رَاكِدُ
كُلٌّ يَقُـــولُ مَا الْعَمَــــلْ لِصَــــدِّهِ ، وَمَـــا الحِيَلْ ؟
إِذِ انْـــبَرَى شُــــجَاعُ تَرْهَبُـــــهُ الـــسِّبَاعُ
كَــــانَ اسْمُهُ «أَدِيــــبَا» وَبَأْسُــهُ عَجِيــــــــبَا
بَــــدَا مِنَ الجُمْهُــــورِ بِمَظْهَــرِ الأَمِيــــــــرِ
وَسَــــارَ نَحْوَ الـــذِّيــــبِ بِكِبَـــــرٍ غَرِيـــــبِ
يَمْشِـــــى وَلاَ يُبَـــــالِى كَالأَسَـــــدِ الـــــرِّئْبَالِ
يَدِقُّ وَهْوَ نَائِـــــــــــى فِــــى عَيْنِ كُلِّ رَائِــــى(١)
وَالـــــــــرَّوْعُ فِى تَعَاظُمِ وَالخَطْـــــبُ فِــــى تَفَاقُمِ
حَتَّـــــى إِذَا مَا اقْتَرَبَــــا مِنْـــــهُ عَـــــوَى وَاضْطَرَبَا
وَنَبَّــــــهَ الأَصْــــــدَاءَ فَامْتَـــــلأَتْ عُــــــوَاءَ

(١) يدق : يصغر .

ثُمَّ مَشَى ثُمَّ جَرَى   مُسْتَقْبَلاً وَمُدْبِرَا
مُسَاوِراً مُقَاتِلَهْ   مُدَارِياً مَقَاتِلَهْ(١)
مُحَاوِلاً مُحْتَرِسَا   مُصَاوِلاً مُخْتَلِسَا
وَالشَّمْسُ فِى شُحُوبِ   هُنَيْهَةَ الْغُرُوبِ
وَالنَّاسُ فِى تَخَوُّفِ   مِنْ هَوْلِ ذَاكَ الْمَوْقِفِ
يَرَوْنَ نَحْوَ الْجَبَلِ   ظِلَّيْنِ فِى تَنَقُّلِ
حِيناً عَلَى تَلاَقِى   ثُمَّ عَلَى افْتِرَاقِ
ثُمَّ عَلَى اشْتِبَاكِ   ثُمَّ عَلَى انْفِكَاكِ
وَبَيْنَمَا هُمْ فِى هَلَعْ   إِذْ سَمِعُوا صَوْتاً صَدَعْ
فَصَكَّ فِى الآذَانِ   كَطَرْقَةِ السِّنْدَانِ
ثُمَّ عُوَاءً مُزْعِجَا   مُطَّرِداً مُرَجْرَجَا
ثُمَّ عُوَاءً أَضْعَفَا   مُقَطَّعاً مُخَطَّفَا
وَأَبْصَرُوا الذِئْبَ جَرَى   إِلَى بَعِيدٍ مُدْبِرَا

(١) مساوراً : مجاولا

ثُـــمَّ سَـــجَا ثُمَّ الْتَـــوَى وَسَارَ شَوْطـــــــاً وَهَوَى[1]



وَعَادَ مِـــــنْ سَفْحِ الْجَبَلْ «أَديـــبُ» عَوْدَةَ الـــبَطَلْ
وَهْـــوَ كَلِيـــلٌ مُتْعَـــبُ بِدَمِـــــه مُخَضَّـــــبُ
حِـــــذَاؤُهُ مُشَقَّـــــقُ وَثَوْبُـــــهُ مُمَـــــزَّقُ
وَقَـــــالَ أَجْهَـــزْتُ وَلاَ فَخْـــرَ عَلَـــى كَلْـــبِ الْفَلاَ
فَهَنَّأُوهُ فَرَحَـــــــــا وَأَمْطَـــــــــرُوهُ مِدَحَا
وَدَرَجَ الأَطْفَـــــــالُ كَـــــــأَنَّهُمْ أَحْجَـالُ
فَرَجَعُوا بِالسَّيِّـــــــدِ فِي مَشْهَـــدٍ مَشْـــهُودِ
وَعَلَــــتِ الأَصْـــوَاتُ وَرُفِعَـــــــتْ رَايَاتُ
وَطِيــــــفَ فِي الأَسْوَاقِ بِهِ عَلَـــى انْتِسَـــاقِ
ثُمَّ رَمَـــوْا فِـــي خَنْدَقِ بِشِلْوِهِ الْمُفَلَّـــــــقِ[2]
فَجَـــاءَهُ الْكِـــلاَبُ عَصَائِبـــــاً تَنْتَـابُ
فَابْتُلِيَتْ بِالـــــــدَّاءِ وَعَـــمَّ كَالْوَبَـــــاءِ

(١) سجا : هدأ . (٢) شلوه : جسده .

فَجَزِعَ السُّكَّانُ وَانْقَطَعُ الأَمَانُ
وَاحْتَجَبَ الآبَاءُ وَاحْتَبَسَ الأَبْنَاءُ
وَامْتَنَعَ الذَّهَابُ فِى السُّوقِ وَالإِيَابُ
وَالأَخْذُ وَالْعَطَاءُ وَالْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ
فَبُثَّتِ الْجُنُودُ تَرْقَبُ وَتَرُودُ
فَأَفْنَوُا الكِلاَبَا وَسَكَّنُوا الأَلْبَابَا



كَانَتْ مِنَ الشُّهُودِ فِى المَوْقِفِ المَشْهُودِ
يَوْمَ هَلاَكِ الذِّيبِ عَلَى يَدَىْ «أَدِيبِ»
فُتَيَّةٌ عَذْرَاءُ جَمِيلَةٌ غَرَّاءُ
طَاهِرَةُ الْفُؤَادِ عَفِيفَةُ الْوِدَادِ
قَوَامُهَا كَالرَّنْدِ وَخَدُّهَا كَالْوَرْدِ
وَعَيْنُهَا الزَّرْقَاءُ تَحْسُدُهَا السَّمَاءُ
كَانَتْ لَهُ خَطِيبَهْ يَدْعُونَهَا «لَبِيبَهْ»

وَكَـــانَ مَوعِـــدُ الـــزِّفَا	فِ لَهُمَـــا قَـــدْ أَزِفَـــا[1]
فِـــى أَرْبَعِينَ خَالِيَـــهْ	مِنَ الـــلَّيَالِى الـــتَّالِيَهْ
يَغْدُو «أَدِيـــبُ» بَعْلَهَـــا	فَهْىَ لَـــهُ وَهْـــوَ لَـــهَا
لَمَّا رَأَتْـــهُ أَقْدَمَـــا	مُسْتَبْسِـــلاً مُقْتَحِمَـــا
وَرَاحَ يَلْقَـــى «السَّيِّـــدَا»	مُنْفَـــرِداً وَحِيـــدَا
هَمَّتْ بِـــأَنْ تَتْبَعَـــهُ	رَجَـــاءَ أَنْ تَمْنَعَـــهُ
أَوْ أَنْ تُمِـــيتَ السَّبُعَـــا .	أَوْ يَهْلَكَـــا إِذَنْ مَعَـــا
عَـــدَتْ وَلَمْ تُبَـــالِ	فَاسْتُوقِفَتْ فِـــى الحَـــالِ
فَلَبِثَـــتْ تَنْتَظِـــرُ	وَقَلْبُهَـــا مُنْفَطِـــرُ
مَشْغُـــولَةٌ مُضْطَـــرِبَهْ	تَدْعُـــو لَهُ بِالْـــغَلَبَهْ
حَتَّـــى رَأَتْ مَرْجِعَـــهُ	وَقَـــدْ قَضَـــى مَطْمَعَهُ
مُفْتَخِـــراً مُـــدِلاًّ	مُـــعَظَّماً مُعَلَّـــى
فَجَذِلَـــتْ كَثِـــيراً	حَتَّـــى بَكَـــتْ سُرُوراً
وَأَقْبَلَـــتْ عَلَيْهِ	وَضَمَّـــدَتْ جُرْحَيْـــهِ

(١) أزف : قرب .

فَلَزِمَ البَيْتَ وَفِى ... يَوْمَيْنِ بَعْدَهَا شُفِى
وَبُدِئَ الإِعْدَادُ ... لِفَرَحٍ يُجَادُ
فَهَيَّأُوا المَلْبُوسَا ... وَجَهَّزُوا الْعَرُوسَا
وَاشْتَرَوُا الْحَرِيرَا ... وَأَتْقَنُوا السَّرِيرَا
وَاجْتَمَعَ الْجِيرَانُ ... وَالأَهْلُ وَالْخِلاَّنُ
فِى مَنْزِلِ الحَلِيلِ ... بِمَحْفِلٍ جَلِيلِ
يَوْمَ الثَّمَانِى وَالثَّلاَ ... ثِينَ لإِهْدَاءِ الحُلَى
جَرْياً عَلَى الْمُعْتَادِ ... فِى هَذِهِ الْبِلاَدِ
فَفِرْقَةُ النِّسَاءِ ... فِى الرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ
وَفِرْقَةُ الشُّبَّانِ ... فِى الشُّرْبِ وَالتَّهَانِى
وَبَيْنَمَا هُمْ فِى فَرَحْ ... وَلاَ مَظَنَّ لِلتَّرَحْ
إِذِ اشْتَكَى «أَدِيبُ» ... حَرَارَةً تُذِيبُ
وَقَامَ بِارْتِعَاشِ ... فَوْراً إِلَى الْفِرَاشِ
فَاسْتَوْصَفُوا دَجَّالاَ ... بِطِبِّهِ مُحْتَالاَ

فَجَـــسَّ نَبْضَ الــــسَّاعِدِ جَسَّ الْحَكِيــــمِ الــــرَّاشِدِ
وَخَطَّ رَسْمـــــــاً مُبْهَمَــا عَقْـــــرَبَهُ وَأَعْجَمَـــــــا
وَجَاءَهُ فِـــــى غَـــــدِهِ بِبِدَعٍ لَــــمْ تُجْـــــدِهِ
وَكَـــرَّرَ الْعِـــــــــــيَادَهْ لَـــــهُ بِلاَ إِفَــــــادَهْ
يُنْقَـــدُ فَـــوْراً أَجْـــرَهُ ثُـــمَّ يُوَلِّـــى ظَهْــرَهُ
وَالــــضَّعْفُ فِى ازْدِيَادِ وَالــدَّاءُ فِـــى اشْـــتِدَادِ
وَهْـــوَ يَقُـــولُ لاَ مَرَضْ وَإِنَّمَا هَـــــــذَا عَرَضْ
حَتَّـــى إِذَا الـــلَّيْلُ سَجَا نَامَ «أَدِيــبٌ» مُزْعَجَـــا
وَكَـــانَ لَيْـــلَ الْعُرُسِ لَيْلَ ابْتِهَـــاجِ الأَنْفُـــسِ
فِى غَدِهِ الــــــــزِّفَافُ وَالـــعَزْفُ وَالــــطَّوَافُ
فَالـــنَّاسُ فِـــى سُـــرُورِ لِلْبَاسِـــلِ الْمَشْـــهُورِ
وَالخَيْلُ فِـــــى اسْتِعْدَادِ وَالـــرَّكْبُ فِـــى تَنَـــادِى(١)
وَكُـــلُّ ذِى مَكَـــانِ وَكُـــلُّ ذَاتِ شَـــانِ

---

(١) تنادى : ينادى بعضهم بعضاً .

فـــى أُهْبَـــةِ المَســــــــيرِ   بِالْمَوْكِـــبِ الْكَبِيـــــــــــرِ
يُمَهِّدُونَ لِلْغَـــــــــــــــدِ   وَالْمَــــوْتُ مَمْـــدُودُ الْيَـــدِ



وَإِذْ مَضَــــــــــى قَلــــــيلُ   تَنَبَّــــــــــهَ الْعَلــــــــــيلُ
كَقِطْعَــــــــةِ الْحَدِيــــــــدِ   فِـــى اللَّهَـــبِ الـشَـــــدِّيـدِ
فَهَـــــبَّ يُرْغِـــــى مُزْبِـــدَاَ   وَقَدْ تَجَــــافَى المَرْقَــــدَاَ
وَاضْطَـــــــرَمَتْ عَيْنَــــــاهُ   وَاضْطَـــــرَبَتْ أَحْشَـــــاهُ
وَشُــــنِّجَتْ أَعْصَــــابُهُ   وَبَــــــرَزَتْ أَنْيَــــــابُهُ
فَمَــــــزَّقَ الْكِسَــــــاءَ   وَبَعْثَــــرَ الأَشْـــــيَاءَ
وَكَسَّــــرَ الـــــزُّجَاجَــــا   وَأَطْفَـــــــــأَ الـسِّرَاجَــا
ثُمَّ مَضَـــــى عُرْيَانَــــا   لاَ يَهْتَـــدِي مَكَـــانَا
كَالـــــــسَّبُعِ الْمُسْتَوْحِشِ   يَعْوِى بِصَـــوْتٍ رَعِـــشِ
يَسْقُطُ آنَـــا وَيَقِـــفْ   يَسْكُنُ ثُـــمَّ يَرْتَجِـــفْ
يَســـتَنْبِحُ الْكِــــلاَبَا   وَيَقْـــرَعُ الأَبْوَابَــــا

يُصَـــــــدِّعُ الـــــــنِّيَامَا   وَيَـــــــفْزَعُ الْقِيَـــــــامَا



وأَرِقَـــــتْ «لَبِيَبَـــــهْ»   لاَ تَعْلَـمُ المُصِيـــــــبَهْ

تَفْكُـــرُ فِـــى اسْـــتِكْمَالِ   مَظَـــاهِرِ الجَمَـــالِ

وَتُقْلِـــقُ المَرَائِــــى   بِـكَـثْــــرةِ الـتَّرَائِــى

تَـــأْوِى إِلَـــى مَرْقَدِهَـــا   مَشْغُـــولَةً بِغَدِهَـــا

حَتَّـــى إِذَا مَـــا ذَكَـــرَتْ   أَمْراً جَدِيــــداً نَفَـــرَتْ

تُجَـــرِّبُ الْحِـــذَاء   أَوْ تُصْلِـــحُ الْكِسَـــاءَ

ثُـــمَّ تَعُـــودُ مُتْعَبَـــهْ   إِلَـــى الـــسَّرِيـــرِ مُوصَبَهْ

يَرُوحُ أَمْـــرٌ وَيَجِـــى   فِـــى فِكْرِهَـــا المُخْتَلِجِ

تَقُـــولُ جَـــذْلَى بَاكِيَـــهْ   خَائِفَـــةً وَرَاجِيَـــهْ :

رِبِّـــى أَأَلْقَـــاهُ غَـــدَا   بِجَانِـــبِى فَأَسْـــعَدَا ؟

وَكَيْـــفَ يَأْتِـــى مَضْجَعِـــى   لاَ أَحَـــدٌ فِيـــهِ مَعِـــى ؟

وَمَا الَّـــذِى يَحْلُـــو لَـــهُ   مِنِّـــى أَنْ أَقُـــولَهْ ؟

«أديــــبُ» يَا فَخْــــرَ الــــصِّبَا كُـــنْ لِـــــىَ بَعْـــلاً وأَبَـــا

يَا أَبْـــــلَ الـــــشُّجْعَانِ وأَفـــــــرَسَ الْفُرْسَـــــانِ

أَميـــــــرَهُمْ فِـــى الحَـــرْبِ وَخَيْرَهُـــمْ فِـــى الْحُـــبِّ

أَهْـــــواكَ مَـــــوْلاَىَ وَلاَ أَهْوَى ســـــوَاكَ رَجُــــــلاَ

إِنِّـــــى غَـــــداً أَوْ أُقْتَـــلاَ أَسْـــــعَدُ مَـــــنْ تَأَهَّـــــلاَ



وكَـــــانَ بَعْــــضُ الـــنَّاسِ وزُمْـــــــرَةَ الْحُـــــرَّاسِ

قَـــــدْ حَمَلُـــــوا «أَديـــبَا» بِدَمِـــهِ خَضِيـــــــــبَا

يَتْبَعُهُــــــمْ جُمْهُـــــورُ مِــنْ حَــبِّهِ غَفِيــــــرُ

كُـــــلٌّ يَقُـــــولُ مَا بِهِ يَســـأَلُ عَــنْ مُصَـــابِهِ

فَصَاحَ شَـــيْخٌ فِى الـــلَّجَبْ إِنَّ بِــــهِ دَاءَ الـــكَلَبْ

وَهْـــوَ شَدِيـــدُ الـــصَّرْعِ غَيْرُ طَوِيـــلِ الــــنَّزْعِ

فَمَــــوْتُهُ قَرِيـــــبُ وَيَنْتَهِـــى الـــتَّعْذِيـــبُ



فَقَيَّدُوهُ عَجَلاً ... فِي غُرْفَةٍ مُنْعَزِلاَ
وَكَانَ وَهْوَ ثَائِرُ ... إِذَا أَتَاهُ زَائِرُ
كَشَّرَ عَنْ أَضْرَاسِهِ ... وَهَمَّ بِافْتِرَاسِهِ
وَأَرْسَلُوا مَنْ أَخْبَرَا ... «لَبِيبَةً» بِمَا جَرَى
فَأَقْبَلَتْ مُنْكَمِشَهْ ... مَذْعُورَةً مُرْتَعِشَهْ(1)
وَدَخَلَتْ مُجْتَرِئَهْ ... غُرْفَتَهُ مُخْتَبِئَهْ
وَكَانَ فِي سُكُونِ ... مِنْ ثَوْرَةِ الْجُنُونِ
مُسْتَغْرِبَ الْقُيُودِ ... يَعْبَثُ بِالْحَدِيدِ
فَابْتَسَمَتْ تَكَلُّفَا ... وَهْيَ تَمُوتُ كَلَفَا
فَهَشَّ مَسْرُوراً بِهَا ... وَبَشَّ حِينَ قُرْبِهَا
كَالأَسَدِ الْمَرِيضِ ... مُلْقًى عَلَى الْحَضِيضِ
عَادَتْهُ بِالْعَرِينِ ... إِحْدَى الظِّبَاءِ الْعِينِ
سَارِحَةٌ حَيَالَهْ ... مَارِحَةٌ مُحْتَالَهْ
هَوَى إِلَيْهَا رَانِي ... يَفْتَرُّ كَالْجَذْلاَنِ(2)

(1) منكمشة : مسرعة .
(2) رانى : ناظر بتأمل . يفتر : يبتسم .

ظَلَّ قَلِيلاً يَبْسِمُ   يُصْغِي وَلاَ يُكَلِّمُ
ثُمَّ شَكَا ثُمَّ زَفَرْ   ثُمَّ بَكَى ثُمَّ نَفَرْ
وَعَضَّهَا فِي صَدْرِهَا   وَرَأْسِهَا وَنَحْرِهَا
فَلَمْ تُحَاوِلِ الهَرَبْ   مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الغَضَبْ
وَعَرَّضَتْ حَيَاتَهَا   مُؤْثِرَةً مَمَاتَهَا
فَظَلَّ فِي إِيلاَمِهَا   وَهْيَ عَلَى اسْتِسْلاَمِهَا
حَتَّى تَوَلَّى عُنْقَهَا   بِالْيَدِ يَبْغِي خَنْقَهَا



فَاسْتَصْرَخَتْ مِنَ الوَجَعْ   وَبَعْدَهَا الصَّوْتُ انْقَطَعْ
فَأَبْصَرُوهَا هَامِدَهْ   بَيْنَ يَدَيْهِ بَارِدَهْ
ثُمَّ صَحَا وَأَدْرَكَا   مَا قَدْ جَنَاهُ فَبَكَى
وَصَاحَ يَا لَلنَّاسِ   لِحَسْرَتِي وَيَأْسِي !
وَيَا لَهَذَا العَارِ   مَنْ مُحْرِقِي بِالنَّارِ ؟!
يَا قُرَّةَ النَّوَاظِرِ   وَبَهْجَةَ الخَوَاطِرِ

لاَ تَسْتَطِيـــــــرِى جَزَعَــا   إِنِّـــــىَ آتٍ مُسْرِعَــــــا

أَلْيَـــــوْمَ يَـــــوْمُ عُرْسِنَا   وَالْمُلْتَقَـــــى فِـــــى رَمْسِنَا

ثُـــــمَّ هَـــــوَى مُعَفَّـــــرَا   وَمَـــــاتَ مَوْتــــــاً مُنْكَرَا

فَشُــــيِّعَ الـــــزَّوْجَـــــانِ   فِــى شَـكْلِ مِهْرَجَــــــانِ

وَمُنْتَهَــــــى الــــــسَّرَّاءِ   كَمُنْتَهَــــــى الــــــضَّرَّاءِ

لَـــمْ يَسْــعَدَا فِى الْعُمْــــرِ   فَسَــعِدَا فِـــى الْقَبْــــرِ



رَاحَ فِــــــدَاءَ فَضْـــــــلِه   وَاسْتَبْسَـــــلَتْ لأَجْـــــلِه

كِلاَهُمَــا شَهِيــــــــــدُ   وَمَوْتُــهُ حَمِيــــــــــدُ

١٠ الـوردة والزنبقة

تفـقدتهـا والفجـر يفتح جـفنه كما انتبه الوسنان والجفن مُثَقلُ
فطفت عـلى الأزهار فى أمن نومـها أنبـهـهـا جـذباً إلىَّ فـتُجـفل
أحـاول سلواناً بتـشكيل طاقـةٍ فـأقتـل منها مـا أشـاءُ وأُشكِلُ
إلى أن بدت لى وردة مسـتكينة كـأن دموع الفـجر فـيهـا تَهلَّلُ
لهـا طلعة الجـاه المؤثل والصِّبى وفى الوجـه تقطيب لمن يتـأمَّل
تلوح علـيـهـا للـكآبةَ والأسى مـخايـل دَقَّت أن تُرى فتُخـيَّلُ
ويكسـبهـا معنى الحـياة ذُبُولهـا لدى ناظريها فهى فى النفس أجملُ
مليكة ذاك الروض جاور عرَشَهَا من الزنبق العـاتى مليكٌ مُكلَّلُ
أغَرٌّ المحـيـاً كـالـصـبـاح نَقَيـهٌ له قامـةٌ كالرمح أو هـى أعدلُ
إذا مااستمالتهُ إلى الوردة الصَّبا فـلا يـنثنى كِبـراً ولا يَتَحـوَّلُ

حبيبان سُرّاً ساعةً ثم عُوقِبا   طويلاً كذاك الدَهرُ يَسْخُو ويبخُلُ
وإن لهذين العشيقين حادثاً   غريباً بوُدِّى أن أرى كيف يكْمُلُ
فقد جاورت هذى الوفية إلفها   إذ الإلف قيَّاس المَعَاطِفِ أميَلُ
فكان إذا مرت به نسم الصبا   يسُرُّ إليها سِرّ من يتغزلُ
يداعبها جُهْد الصبابة والهوى   ويعرض عنها لاعباً ثم يُقْبلُ
ويرشف كلٌّ من جبين حبيبه   دفوع الذى خمراً رحيقاً فيثملُ
ولكنه لم يلبث الغصن أن جفا   فلم تثنِ عِطِفْ جنوبٌ وشمالُ
فشق عليها بينه وهو جارها   وباتت لفرط الحزن تنوى وتنجلُ
وعما قليل يَقْضِيَانِ من الجَوىْ   وإن صح ظنى فهى تَهلكُ أوَّلُ



هُمَا صورتانا فى الهوى وحديثنا   حديثهما بين الأزاهر يُنْقَلُ
أُقَبْلٌ ذاك الغصن كل صبيحة   كأنى للنائى الحبيب أقبلُ
وأنظر أختى فى الشقاء كأننى   أرانى بمرآةٍ أموتُ وأذبُلُ

١١ المساء

شاكٍ إلى البحر اضطراب خواطِرى فيجيبنى برياحِهِ الهوجاءِ
ثاوٍ على صخر أصم وليت لى قلباً كهذى الصخرةِ الصماءِ
ينتابها موجٌ كموج مكارهى ويفتها كالسقم فى أعضائى
والبحرُ خفاقُ الجوانب ضائقٌ كمداً كصدرى ساعة الإمساء
تغشى البرية كدرةُ وكأنها صعدت إلى عينىَّ من أحشائى
والأفقُ معتكرُ قريحُ جُفنه يُغضِى على الغمراتِ والأقذاء



يا للغروب وما به من عِبرَةٍ للمستهام ! وعبرة للرائى !
أو ليس نزعاً للنهارِ وصرعةً للشمسِ بين مآتمِ الأضواء ؟



ولقـد ذكـرتُك والنهـارُ مـودعٌ   والقلـبُ بين مـهـابةٍ ورجـاء
وخـواطرى تبدو تجـاه نواظرى   كلمى كـداميـه السحـاب إزائى
والدمعُ من جفنى يسيلُ معشقاً   بين الشـعـاعِ الغـاربِ المتـرائى
والشمسُ فى شفقٍ يسيلُ نضُارهُ   فوق العـقيق علـى ذرى سوداء
مـرَّت خلال غـمـامتين تحـدراً   وتَقَطرَّت كـالدمـعـة الحـمـراء
فكأن آخـر دمـعـةٍ للكون قـد   نُزِحَتْ بـآخرِ أدمُعـى لـرثـائـى
وكـأنَّنـى آنستُ يَومـى زائلاً   فـرأيتُ فى المِرآةِ كيـف مسـائى

١٢ الزنبقــــة

طُفْتُ والصُّبْحَ طَالِباً فِى الْجِنَانِ سَلْوَةٌ مِنْ نَوَاصِبِ الأَشْجَانِ
فَنَفَى حُسْنُهَا عَنْ ضَمِيـــــــرى وجَلاَ نَاظِرى وسَرَّ جَنَانِى[١]
زَنْبَقٌ نَاصِعُ الْبَيَاضِ نَقِىٌّ تَرْتَوِى مِنْ بَيَاضِهِ الْعَيْنَانِ
وجُفُونٌ مِنْ نَرْجِسٍ دَاخَلَتْهَا صُفْرَةُ الـــدَّاءِ فِى مَحَاجِرِ عَانِى
وَوُرُودٌ كَــــــــــأَنَّهَا مَلَكَاتٌ بَرَزَتْ فِى غَلاَئِلِ الأَرْجُوَانِ
وأَفَانِينُ مِنْ شَقِيـــــقٍ ومِنْ فُلٍ ومِنْ مُضْعُفٍ ومِنْ رَيْحَانِ
كُلُّ ضَرْبٍ شَـبِيـهُ سِرْبٍ جَمِيعٍ مُفْرَدٍ عَنْ لِدَاتِهِ فِى مكَـــــانِ[٢]
طَالَ فِيـــــــــهَا تَأَمُّلِى وكَأَنِّى كُنْتُ مِنْهَا فِى رَوْضِ عِينٍ حِسَانِ

(١) جنانى : قلبى .
(٢) لداته : أشباهه .

فَتَوَخَّيْتُ مُشْبِهــــاً «لأليسٍ» بَيْنَهَا فِى صِفَاتِهَا وَالْمَعَانِى[1]
فَإِذا الْبَاهِرُ الـــنُّقِّى مِنَ الـــزَّ نْبَقِ مِرْآةُ حُسْنِهَا الْفَتَّانِ
رَسْمُهَا فِى سَنَائِــهَا وَسَنَاهَا وَصَدَى لاِسْمِهَا أَوِ اسْمٌ ثَانِى[2]
فِيــهِ مِنْهَا الْبَهَاءُ وَالْقَامَةُ الــهَيْـ ـفَاءُ والــلَّونُ صُورَةُ الـوِجْدَانِ
وَالْعَبِيـــرُ الَّذِى يُحَدِّثُ عَمَّا فِى الضَّمِيرِ الأَخْفَى بِأَذْكَى بَيَانِ
وَالشُّعَاعُ الَّذِى بِهِ يُرِى البَغْىَ زُهْراً وَيُرِيهَا آزَاهِراً فـــــى آنِ
فَهْىَ فِى الرَّوْضِ والنُّجُومُ قَوَاصٍ وَهْىَ فِى الأَوْجِ والنُّجُومُ دَوانِى
تَتَرَاءَى الـــسَّمَاءُ الأَرْضُ كُلٌّ فِي سِوَاهـــا وَتَلْتَقِى الْجَنَّتَانِ



إِنَمـــا النَّرْجِسُ ابْتِسَامَةُ فَجْرٍ أَلْطَفَتْ نَسْجَهَا يَدُ الــرَّحْمَنِ
قَامَ فِى حُلَّةِ الْبَيَاضِ فَكَانَتْ ثَوْبَ رُوحٍ لاَ ثَوْبَ جِسْمٍ فَانِى
اسْتَزَادَ الْحِلَى سِوَاهَا فَجَاءَتْ حَيْثُ زَادَتْ عَلاَئِمَ الـــنُّقْصَانِ

---

(١) اليس : اسم آنسة فرنسوية .

(٢) ذلك أن اسم الزنبـقة فى الـفرنسـوية «ليس» والصـدى يضيع الحـرف الأول من اسم «أليس» فما يبقى يكون اسم الزنبقة ولو بقى الاسم على أصله لصح أن يسمى الزنبق به لما اتصفت به تلك الفتاة من المحاسن .

هكَذَا سِرُّ كُلِّ حَيٍ نرَاهُ   خلَلَ الـــشَّكْلِ بـــادِيــاً لِلْعيَانِ

فَتَرَى أَنْفُسَ الْحِسَانِ حِسَانـــــاً   حَيْثُمَا هُنَّ عَنْ حُلِيٍ غَوَانِي

ونَرَى أَنْفُـــسَ الأَزَاهِـــر غُرّاً   إِذْ نَرَاهَا عَفِيــــــفَةَ الأَلْـــوَانِ

١٣ الشاعر والطائر

يـا أيُّهــــــا الـطَّائـر المُغَنِّى   بلا نـثــــيــــر ولا نظـيم
من لـى بشـــدو طـليـق فن   كــشـــدوك المطْرب الـرَّخـيم
فـــأنت تـشــدُّو بـلا بيـــان   مـــا تـشـــاءُ المُنى تُجيـــد
ونحــن بالـلفـظ والمعـــانى   نعـــجــزُ عن بـعض مـــا نُريدُ
أعرِ جناحـــيـك يا رفـــيق   أَطِرْ وامــــــرح خـلـىَّ بَالْ
من ســاكِب النور لى رحـيق   وفـــسْحةِ الجــــو لى مَجَالْ
أشـــرِق وأَغْرِبْ بـلا مـــرام   فـــــــلا مـكَانُ ولا زمَانْ
ولا هُيَـــامَ إلاَّ هـــيَامِـــى   بـين الــسَّموَات والجــنـــان



طِرْبى وأنـتَ الأخُ الرفـــيقْ   إلى مـــــقــــر مــن الأنَامْ

لا عـــذر فـيـــه ولا عـقـــوق ولا رياء ولا خـــــصــــــام

مـــا أجـمل الـكونَ عن قَصىًّ وأبـــــدعَ الأرضَ مــــن غِل

لهـــــــارب فـــــاز بـالرقـىٍّ تـنحـطّ عـنه ويـعــــــتلـى

أعـــجب بمرأى هذى الجـبـــال منخـــفـــضـــاتٍ إلى المهـــاد

حـتـى غـدت وهى كـــالظلال من الجــــلال ومن ســــواد

أعـــجب بمرأى هـــذى المبـــانى عـــفت كـــأن لم تكـن ديار

وكـيف صـــارت خُضرُ الجِنانِ مـــن ازدهــــاء إلـــى بـــوار

مـــا أبهج النور فى عـــيـــونى مـــا أطيب النفس فى الخـــلاء

شـــفـــانى الله من جنـونى والبـــعـد عن خلـقـه شـــقـاء

١٤ زهرة ساهرتنى

بَاتَتْ لــــــــــدىَّ وطَالَعَتْ ... مـــــا لا يُطَالِعـــــهُ سَواها
حـــسناءُ مـن وردِ الخـــمـــا ... ئلِ أبـهـــجـتَ نظرى حِلاَها
قـــامت علـى مـتـــأوِّدٍ ... من قـــدِها حُلوِ الـتـــثـنى
وكـــأنما فـــيـــهـــا الحِلَى ... كَمُلتْ عـلـى قـــدر الـتَمنَّى
يـجلـو مُحـــيَّاها بـيـــا ... ضُ شفَ عن أدنـى أحـمـرار
مـــتـــرقِّصُ فـــيــه الـندى ... بالنـور فـوق حـجـــاب نارِ
مـــــتـكـوفٌ أوراقُهــــا ... بـعضٌ عـلـى بعـضٍ بـعطـف
ولـكـل واحـــــــدةِ ثـنـا ... يا الشـغـيـر حين سـمـا لرَشْفِ
بَاتَتْ وكـــأسُ الماءِ مـــسكـنـ ... ـهـا ومَوْردها جـمـيـعـاً
فـى مَوْضِعٍ مـنـه تطـل عـلـ ... ـى إطلالاً بـديـعـــــاً

وإخـــــالُهــــا سَهَرتْ عـلىَّ   الليـلَ مُصـغـيــةً رفـيـقـة
وإخـــــالُهــــا نظـرت أو   اسـتـمـعت نوازِعى الرقـيـقـة
حـــتى إذا لاَحَ الصَّبــــا   حُ لمحَتْ فـيـهـا كـالذُبولِ
مـن إثْرِ مـــــا شَهِدتهُ مـن   آلام مـــهـــجــتى العلـيلِ
لكـن بعـــثتُ بـهــا ، وفى   المعـنى شـــفـيعٌ لـلهـــدية
فـــلأجل أن تـلقـــاكِ قـــد   أعـــدَدْتُهـــا منذ العـــشـــيَّةْ

١٥ بعد انقضاء الشباب

مِنْ بَقَايَا الـــشَّبَابِ فِي وَادِي قَلْبِيَ الْمُســـتكِـينْ
دَهْرَةٌ فِي شُــحُوبِهَا الْبَـادِي ظَمَـأٌ مِـنْ سِـنِينْ
ذَادَهَا دَهْرُهَا عَـنِ الـــوِرْدِ فَاسْـتَوَتْ نَاظِـرَهْ
وَهْيَ بَعْدَ الـذُّبُولِ فِي الْوَرْدِ لَـمْ تَـزَلْ نَاضِرَهْ
لَبِــثَتْ وَهْيَ آخِرُ الـزَّهْرِ فِـي رِيَـاضِ الْهَـوَى
وَأَرَاهَا تَقْضِـي وَفِـي الإِثْرِ سَائِـرُ الْقُـوَى
كِدْتُ أُمْسِي وَالْيَأْسُ بِي حَـلاًّ مِـنْ تَعَافِيـهَا
فَإِذَا لِلْعِنَايَـةِ الْجِـلَّى آيَـةٌ فِيـهَا
يَا فَتَاةً بِالـلُّطْفِ حَيَّتْهَا عِشْتِ مِنْ غَادِيَـهْ(١)
قَطْـرَةٌ مِنْ نَـدَاكِ أَحْيَتْهَـا فَزَهَـتْ نَادِيَـهْ

(١) النادية : السحابة .

١٦ نفحـة الزهـر

بِاسْمِ المَلِيـكَةِ فِى الأَزَاهِرْ ذَاتِ الجَلاَلَةِ وَالْـبَهَاءْ
يُهْدِى إِلَيـكِ بَيَانُ شَاعِرْ أَذْكَى التَّهـانِىَ وَالدُّعَاءْ



أُنْظُرِيـهَا تَجِديـهَا زَهَرَا وَاقْرَئِيـهـا تَجِديهـا فِكَرَا
تِلْكَ أَشْبَاهُ المُنَى فِى لُطْفِهَا لَبِسَتْ حُسْنـاً فَجَاءَتْ صُوَرَا
مِنْ غِذَاءِ النُّورِ مِنْ سَقْىِ النَّدَى مِنْ حُنُوِّ الـلَّيْلِ مِنْ ضَمِّ الـثَّرَى
مِنْ هَزِيـزِ الـرِّيـحِ فِى تَسْيَارِهَا مِنْ مُنَاغَاةِ الدَّرَارِى فِى الـسُّرَى
خُرَّدُ الـرَّوْضِ مِلاَحٌ زَانَهَا خَفَـرُ الـطُّهْرِ وَزِنَّ الخَفَرَا
لَيْسَ يَدْرِى مَنْ يَرَى أَشْكَالَهـا وَيَـرَى أَلْوَانَهَـا وَالحِبَرَا
أَيَرَى فِى البَعْضِ مِنْهَا شَفَقـاً ؟ أَمْ يَرَى فِى البَعْضِ مِنْهَا سَحَرَا؟

أَمْ يَرَى الـكِمَّ سُرُوراً نَابِتــــاً   أَمْ يَرَى الــنُّوَّارَ نُوراً عِطِرَاً ؟
إِنَّمَا الــــزَّهْرَةُ خَلْقٌ عَجَبٌ   فِطْرَةٌ سَمْحَاءُ تَسْمُـــو الفِطَرَا
خُلِقَتْ لِلخَيْرِ خَلْقاً صَافِــيــاً   جَاوَزَ الــضَّيْمَ وَفَاقَ الــغِيَرَا
شَأْنُهَا تَضْحِيَةُ الـــنَّفْسِ وَلاَ   شَيْءُ غَيْرُ الــنَّفْعِ تَبْغِى وَطَرَا
شِيــــمَةٌ فَادِيَةٌ شَرَّفَهَا   شَارِبُ المَوْتِ فِدَاءً لِلـــوَرَى
فَلِغَيْرِ الحُبِّ ذَابَتْ ذَهَبـــاً   حِينَ تَأْسَى أَوْ تَذَكَّتْ مَجْمَرَا
وَلِغَيْرِ الـفَخْرِ حَلاَّهَا الــنَّدَى   وَلِغَيْرِ الـــذِّكْرِ فَاحَتْ عَنْبَرَا
وَسَمَتْ أَنْ تَتَبَاهَى وَأَبَتْ   أَنْ يُطِيـلَ الـنَّاسُ عَنْهَا الـسِّيَرَا
مَنْ دَعَاهَا عَادِلاً أَوْ ظَالِمــاً   لِلـــمُرُوءَاتِ دَعَا مُبْتَدِرَا
فَلِمَنْ جَاوَرَ أَهْدَتْ نَفْحَةً   وَلِمَنْ طَالَعَ أَسْدَتْ مَنْظَرَا
وَأَبَاحَتْ جِيـــدَهَا مَنْ يَبْتَغِى   سَلْوَةً أَوْ زِيــنَةً أَوْ مَظْهَرَا
هِىَ أُنْسُ المَرْءِ فِى وَحْشَتِهِ   وَهِىَ الـــصَّفْوُ لَهُ إِنْ كُدِّرَا
وَهِىَ الـــقُبْلَةُ فِى مَرْشَفِ مَنْ   شَاقَهُ لَثْمُ حَــبِيــبٍ هَجَرَا
وَهِىَ الـــنَّفْحَةُ يَسْتَشْفِــى بِهَا   مَنْ تَلَظَّى وَجْدُهُ مُسْتَعِرَا
وهى الـتُّحْفَةُ فى الـعُرْسِ لِمَنْ   آثَرَ المَهْرَ الأَحَبَّ الأَطْهَرَا

قَالَتِ الــــوَرَدَةُ ذاتُ الـــــنُّهْىِ وَالأَمّـــــرِ
فى الزَّهْرِ

يـا وَصَـــــيفَاتِى بَنَاتِ الـنُّورِ وَالــــقَطْرِ
فى الفَجْرِ

أُخْتُنَا شَمْسُ البَنَاتِ الخَـــــرَّدِ الـــــزُّهْرِ
فى العَصْرِ

مِنْ غَدٍ تَبْرَحُ خِدْرَ الــــكَاعِبِ الــــبِكْرِ
فِى طُهْرِ

وَتُوافِى دَارَ بَعْلٍ صَادِقٍ حُـــــرٍّ
فِى فَخْرِ

أَنَا أهْوَاهَا وَتَهْوَانِىَ فِى الجَهْرِ
وَالسِّـــرِّ

أَسْعِفِيــــنِى يَا أُخَيَّاتِ الــهَوَى الـــعُذْرِىِّ
فِى أَمْرِى

نَنْتَظِمْ فِى شِبْهِ تَاجٍ بَاهِرٍ يـــــزْرِى
بِالـــدُّرِّ

ونَكُنْ أَبْهَى هَدَايَا الــــــوُدِّ وَالـــــذِّكْرِ

فِى المَهْــرِ

لِلـــــــمُفَدَّاةِ عَرُوسِ الحُسْنِ وَالـــشِّعْرِ

فِى مِصْــرِ



سُرَّتِ الأَزْهَارُ لَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ الـنُّطْقَ الـــذَّكِىَّ الأذْفَرَا[1]
وَاسْتَقَرَّتْ لَيْلَهَـــا هَاجِعَـــةً فَرَأَتْ حُلْمـاً جَمِـيلاً فِى الكَرَى
أَبْصَرَتْ عُرْسـاً بَهِـيجاً حَافِلاً جَامِعـــاً مِنْ كُـــلِّ جِيلٍ مَعْشَرَا
عَقَدَ العِطْرُ سَحَابـاً نَاصِعـــاً[2] فَاشِيـــــــــاً بَيْنَهُمُ مُنْتَشِرا
تَلْمَـــعُ الأنْـــوَارُ فِـــى أَثْنَائِه وَتُبَاهِى الـــوَجَنَاتُ الـــغُرَرَا
ولِحَاظُ الـقَوْمِ فِيـــــهِ تَلْتَقـِى مُرْسِلاَتٍ أَسْهُمــــــاً أَوْ شَرَرَا

---

(١) الأذفرا : العطرا .

(٢) ناصعاً : أبيض زاهياً .

فِتيَةٌ مُرْدٌ وَشِيـــــبٌ تَرَكَتْ كَرَّةَ الـــــدَّهْرِ عَلَيْهِمْ أَثَرَا
وَحِسَانٌ مِسْنَ أَغْصَانـــاً وَلَمْ تَكَدِ الأَوْرَاقُ تُخْفِـي الـثَّمَرَا
فِي جَلاَبِيـــبِ سُرُورٍ وَعَلَى كُلِّ وَجْهٍ نَجْـــمُ سَعْدٍ سَفَرَا
تَنْجَلِي فِيـــهِمْ عَرُوسٌ مَلَكٌ تَحْجُبُ الـعِفَّةُ عَنْهَا الـنَّظَرَا
بَيْنَ أَتْرَابٍ حَوَالَيْهَا كَمَا صَحِبَتْ غُرُّ الـنُّجُومِ الـقَمَرَا
مَجْمَعٌ يَحْفِلُ مُهْتَزّاً لَهَـــا فَرِحـــاً فِي عِيـــدِهَا مُسْتَبْشِرَا



ظَلَّتِ الـــرُّؤْيَا إِلَى أَنْ لَمَسَتْ رَاحَةُ الفَجْرِ الـدُّجَى فَانْحَسَرَا(١)
وَجَلَـــتْ عَنْ يَوْمِ صَفْوٍ شَائِقٍ ذَلِكَ الـسِّتْرَ المَشُوبَ الأَغْبَرَا
فَتَغَنَّى الـطَّيْرُ تَبْشِـــيراً بِهِ وَكَسَى الأُفْقَ الـرِّدَاءَ الأَزْهَرَا
وَبَنَاتُ الـــرَّوْضِ وَافَيْنَ إِلَى مَحْضَرِ الـعُرْسِ فَزِنَّ المَحْضَرَا
جِئْنَ قُرْبَانـــاً وَكُلٌّ وَهَبَتْ رَبَّةَ الـدَّارِ صِبَاهَـــا الأَنْضَرَا
وَدَعَتْ كُلٌّ بِسَـــعْدٍ دَائِـمٍ لِلـعَرُوسَيْنِ دُعَـاءً مُضْمَـــرَا

---

(١) انحسر : انكشف .

قَالَتِ الـــــــــوَرْدَةُ يَا شَاعِرَنَا   إِنَّنَا اخْتَرْنَاكَ دُونَ الـــــــشُّعَرَا
أُتْلُ عَنَّا مَا أذَعْنَـــــاهُ شَـــــذاً   وَابْتِسَامَا . . . فَتَـــلاَ مُؤتَمِــــرَا



بِاســـمِ المَلِيـكَةِ فِي الأَزَاهِـــرْ   ذَاتِ الجَـــــلاَلَةِ وَالــــــبَهَاءْ
يُهْدِي إِلَيْـــكِ بَيَـــانُ شَاعِرْ   أَذْكَى الـــتَّهَانِي وَالــــدُّعَاءْ

١٧ إلى الأخ العزيز

أحمد شوقى بك

أَطَلْتَ نَأْيَكَ عَنِّـــــــى وَسُمْتَنِـــي الـــبُعْدَ شَهْرَا

أَلـــشَّهْرُ بَعْضُ الـــلَّيَالِى وَرُبَّمَـــــا كَـــــانَ عُمْرَا

كَمْ فِـــى تَدَاوُلِ شَـــهْرٍ يُجَـــدِّدُ اللهُ أَمْــــرَا ؟

كَمْ أُمَّــــةٍ تَتَسَـــــامَى فِـى حِــين تَسْقُطُ أُخْرَى

كَـــمْ لَيْلَةٍ تَتَقَــــــضَّى وَلَيْسَ تُعْقِبُ فَجْرَا ؟

كَـــمْ حَـــالَةٍ يَتَوَالَى مَا سَـاءَ مِنْهَا وَسَـــرَّا ؟

كَـــمْ أَزْمَـــةٍ تَتَـــوَلَّى فَتُتْبِعُ الـــعُسْرَ يُسْـــرَا ؟



أَلَسْتَ فِى الـــشَّهْرِ تَشْدُو صَوْتَــــاً فَتُطْرِبُ دَهْرَا ؟

كَمْ فِى ثَلاَثِينَ يَوْمــــــاً أَكْسَبْتَ مِصْرَكَ فَخْرَا ؟

كَـمْ صُغْـتَ آيَةَ وَحْيٍ ... يُعِـيدُهَا النَّاسُ شِعْرًا ؟

وكَمْ بَعَثْـتَ حَيَاةً ... فِى قَلْبِ صَخْرٍ فَدَرًّا ؟

وكَـمْ نَسَـفْتَ بِنَاءً ... لِلـظَّالِمِـينَ فَخَرَّا ؟

وكَمْ بَكَيْتَ فَأَبْكَيْـ ... ـتَ وَادِىَ النِّيـلِ نَهْرًا ؟

وكَمْ حَشَدْتَ فَأَذْكَيْـ ... ـتَ مُزْبَدَ المَـاءِ جَمْرًا ؟

وكَـمْ رَفَعْـتَ لِقَوْمٍ ... ذِكْراً وَقَوَّضْتَ ذِكْرًا ؟

فِـى نَادِيَـاتٍ ذَوَاكٍ ... لاَ تُعْقِبُ الشَّرْبَ سُكْرًا(1)

مِنَ الـقَوافِى الـلَّوَاتِي ... مُلِئْنَ أُنْسـاً وَسِحْرًا

تَرِقُّ فِيـهَا فَتَصفُو ... نُـوراً وتَخْلُـصُ نَشْرًا(2)

فَيَا أَخَا الـوُدِّ حَسْبِى ... أَسـىً وَحَسْبُكَ هَجْرًا

إنْ كُنْتَ تُخْبِرُ صَبْرِى ... لَمْ يُبْقِ لِى الـشَّوْقُ صَبْرًا

أَوْ تَبْتَغِى لِىَ أَجْراً ... كَفَى بِمَا فَاتَ أَجْرًا

---

(1) الشرب : الشاربين .

(2) نشراً : عطراً .

١٨ رثـــاء

للشيخ إبراهيم اليازجى

رَبَّ الـــبَيَانِ وَسَيِّدَ الـــقَلَمِ   وَفَّيْتَ قِسْطَكَ لِلــــعُلَى فَنَمِ
نَمْ عَنْ مَتَاعِبِهَا الجِسَامِ وَذَرْ   آلاَمَهَـا غُنْمـــاً لمغْتَنِـمِ(١)
مَا أَصْغَرَ الـــدُّنْيَا وأَحْقَرَهَا   فِى جَنْبِ مَا لِلــمَيْتِ مِنْ عِظَمِ
يُغْضِـــى وَقَدْ آذَتْـــهُ دَائِبَةٌ   عَنْ ذَنْبِهَا إِغْضَاءَةَ الـــكَرَمِ
مَا أَعْجَزَ الـلُّسنَ الفَصِيحَ لَدَى   عِيِّ الـفَقِيـــدِ الخَالِدِ الـبكِمِ
مَا أَسْخَفَ الـــعَبَرَاتِ سَاكِبَةً   وَالـــنَّعْشُ يَحْجُبُ وَجْهَ مُبْتَسِمِ



يَا مَـــنْ بَكَـتْ لِفِرَاقِـهِ أُمَـمٌ   كَانَتْ بِـهِ مــحـســودةً الأُمَـمِ

---

(١) ذر : دع .

أَلآنَ جُزْتَ الوَهْمَ مُرْتَقِـــيــاً ... وَإِلى الصَّوَابِ خَلَصْتَ مِنْ حُلُمِ

أَكْمِلْ بَلاَغَكَ يَا حَكِيـــمُ وَقُلْ ... أَحَيَاتُنَا خَيْرٌ مِنَ الـــعَدَمِ ؟

أَمْ تِلْكَ أُمٌّ غَـــيْرُ عَاقِلَـــةٍ ... أُمٌّ بِلاَ قَلْـــبٍ وَلاَ رَحِمِ

أُمٌّ تُغَـــذِّى مِنْ وَلاَئِدِهَـــا ... رِمَمـــاً تُمَشِّيـــهَا عَلَى رِمَمِ



مَاالخَلقُ؟ هَلْ أَدْرَكْتَ غَامِضَهُ ؟ ... وَأَزَحْتَ عَنْهُ غَيَاهِبَ الــظُّلَمِ ؟

أَجّهَدْتَ فِكْرَكَ فِى تَعَقُّلِـــهِ ... وَصَــدَرْتَ عَنْـــهُ وَارِداً كَظَمِى

سَاءَلْتَ عَنْهُ النَّجْمَ مُرْتَقِـــباً ... وَبَحَثْتَ بَيْنَ الحَرفِ وَالــرَّقَمِ

وَهَوَى بِكَ الـــوَادِى مَهَاوِيَهُ ... وَرَنَوْتَ مُنْطَاداً مِنَ الـــقِمَمِ

تَبْغِى الحَقِيـــقَةَ سَاعِيـــاً كَلِفاً ... مِـــنْ كُـــلِّ مُطَّلَبٍ بِلاَ سَأَمِ

لَكِنْ رَأَيْتَ الـــبِرَّ أَجْمَلَ مَا ... تُحْدَى إِلَيْهِ سَوَابِقُ الـــهِمَمِ

وَالـــبِرُّ أَشْرَفُهُ وَأَنْفَعُهُ ... لِلـــنَّاسِ فِى الإِرْشَادِ وَالحِكَمِ

فَأَزَلْـــتَ كُرْبَةَ كُلِّ ذِى شَجَنٍ ... بِالــرَّائِقِ الـشَّافِى مِنَ الــكَلِمِ

وَأَسَـــوْتَ مَكْلُومَ النُّفُوسِ إِسَا ... مَنْ يَقْرِنُ التَّضْمِيـــدَ بِالنَّغَمِ(١)

(١) هو مذهب جديد تخفف به آلام من يعمل له عمل جراحى .

بِرَوَائِعٍ كَالـــــكَوْنِ بَاهِرَةٍ مَــا بَيْـــنَ مُنْتَثِرٍ وَمُنْتَظِـــمِ
جَمَّلْتَهَا بِجَمَالِهِ فَمـــــضتْ وَلَهـــا جَــلالُ الكَــوْنِ مِنْ قِدَمِ



١٩ شعر منثور

كلمات أسف

أنشدت فى حفلة تأبين للمرحوم الشيخ إبراهيم اليازجى

أَطْلِقَ عَبَرَاتِكَ مِنْ حُكْمِ الوَزْنِ وَقَيْدِ القَافِيَهْ
وَصَعِّدْ زَفَرَاتِكَ غَيْرَ مُقَطَّعَةٍ عَرُوضاً وَلا مَحْبُوسَةً فِي نَظَامْ
قُلْ وَقَدْ نَظَرْتَ إِلى المَوْتِ وَهُوَ قَاتِلٌ عَامِدٌ
مَا تُوحِيهِ إِلَيْكَ النَّفْسُ لَدَى رُؤْيَةِ إِثْمِهِ الرَّائِعْ
لاَ عَتْبَ عَلَى الحِمَامْ . هُوَ الظُّلْمَةُ وَالحَيَاةُ النُّورْ
هُوَ الأَصْلُ الأَزَلِىُّ الأَبَدِىّ . وَالنُّورُ حَادِثٌ زَائِلْ
فَإِذَا أَزْهَرَ شَارِقٌ فِى دُجُنَّةٍ فَهُوَ يُكافِحُها ويُنافِيهَا
إِلى أَنْ يَنْقَضِى سَبَبُهُ فَيَتَضَاءَل ثُمَّ يَتَلاَشَى فِيهَا

أَلمائتُ وراءَ الميتْ . أَتبْكِى مَيْتاً وأَنْتَ مائتْ ؟

هَلِ القَطَرَاتُ الهابِطَةُ فِى العُمْقِ دَمْعَةٌ تَجْرِى إِثْرَ دَمْعَهْ ؟

لَئِنْ مَاتَ اليَازِجِىُّ ، فَقَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ النَّبِيُّونْ

وَمَاتَتْ أُمَمٌ أَهَانَ الرَّدَى أَعِزَّاءَهَا وَصَغَّرَ كُبَرَاءَهَا

فَلِمَ تَبْكُونَ رَاحِلاً أَيُّها الرَّاحِلُونَ ؟ أَأَنْتُمْ بعده فى خُلُودْ ؟

أَمْ هِىَ دُمُوعٌ يُقْرِضُهَا السَّلَفْ ، لِيفَيَهُمْ إِيَّاهَا الخَلَفْ ؟

لاَ . . . وَإِنَّمَا نَبْكِى مِنَّا بَعْضَنَا الَّذِى ذَهَبَ مَعَ الذَّاهِبْ

نَبْكِى مَغَانِمَنَا مِنْ أُنْسِهِ وَعِلْمِهِ وأَخْلاَقِهْ

نَبْكِى مَفْقُودَنَا مِنْ مَعَاهِدِهِ فِى المكَانِ وَالزَّمَانْ

نَبْكِى مَا أَلِفْنَاهُ مِنْ مَشْهُودِهِ وَمَسْمُوعِهْ



فَيَا مَنْ يُكْبِرُ جَزَعَنَا عَلَى إِبْرَاهِيمْ ! إِنَّ المَيْتَ يُبْكَى بِمِقْدَارِهْ

وَإِنَّ النَّفْسَ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الكَلَفِ بِمَصَالِحِهَا

لاَ تَأْسَفُ عَلَى الشَّمْسِ المتَوارِيَةِ بِالحِجَابْ

أَسَفَهَا عَلَى أَىِّ نَجْمٍ يَتَوَارَى ، وَلَوْ كَانَ فِى فُلْكِهِ شَمْسَا



أكَانَ اليَازِجِىُّ مِنْ أَرْوَاحِنَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ مِنَ العُيُونْ ؟

فَيكُونُ حِدَادُنَا عَلَيْهِ حِدَادَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارْ ؟

نَعَمْ ! كَانَ بِعِلْمِهِ كَالشَّمْسِ إنَارَة وَإِشْرَاقَا

سِوَى أَنَّهُ كَانَ كَالزَّهْرَةِ بِوَدَاعَتِهِ ، وَعُرْفِهِ ، وَنَفْعِ مَا يَعْصِرُ قَلَمُهْ

وَلَمْ تَكُنْ أَشِعَّتُهُ جَارِحَةً لِلعُيُونِ بِقِحَتِهَا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَلسَماً لِلعُيُونْ

وَلَمْ تَكُنْ ثِمَارُهُ وَأَشْجَارُهُ تَنْسِيقَ تِجَارَةٍ وَلاَ زِينَةَ مُفَاخَرَهْ

وَلَمْ يَكُنْ عَرْفُهُ دَعْوَةً لِلإِعْجَابِ بِهِ ، بَلْ نَسْمَةَ رُوحٍ مُتَذَكِيه



شَبَحٌ نَحِيلٌ ضَمَّ قَلْباً رَقِيقاً وَعَقْلاً كَبِيرا

فَقَدْنَاهُ ، فَفَقَدْنَا لُغَةً فِى يَرَاعْ

فَقَدْنَا زَهْرَةً ذَابِلَةً تُنْذِرُ بِذُبُولِ الحَدِيقَهْ

فَقَدْنَا حَدِيقَةً مُتَجَرِّدَةً تُنْبِئُ بِزَوَالِ الرَّبِيعْ

فَقَدْنَا رَبِيعاً انْقَضَى بِهِ عَصْرٌ فِى عُمْرِ رَجُلْ

فَقَدْنَا شَمْساً أَطْلَعَتْ ذَلِكَ الرَّبِيعَ وَزَانَتْهُ بِأَنْوَارِهَا وَأَنْدَائِهَا

ثُمَّ غَرَبَتْ عَنْهُ بَلا تَدَرُّجٍ فِى الانْتِقَالِ وَمَالَتْ إِلى الشِّتَاء

٢٠ تهنئة بمولود

فِيكَ انْجَلَى يَا لَيْلُ طِفْلٌ صَغِيـــــرْ
فَوْقَ السَّرِيرْ
طِفْلٌ كَجَدِّيْهِ سَرِيٌّ أَمِيـــــــرْ
لَمَّا بَدَا نَادَى بَشِـــــيرُ الـصَّفَاءْ
بُشْرَى العَلاَءْ
بُشْرَى الْهُدَى بُشْرَى الـنَّدَى وَالـوَفَاءْ



مُحَمَّـــدٌ لاَ بِـــدْعَ أَنْ يُؤْمَـــلاَ
إِذْ أَقْبَلاَ
لِلْــــــــخَيْرِ وَالإِحْسَانِ بَيْنَ المَلاَ
هَذَا كَرِيمٌ مِـــنْ كَرِيـــــمٍ أَتَى
نِعْمَ الْفَتَى
قَدْ طَابَ غَرْسَــــاً وَزَكَـا مَنْبِتَا



إنِّى أَرَاهُ وكَــــــــأنَّ المُنــى
أسْعَفَتْنَا
فِيــــــــــــهِ فَحَقَّقْنَ بِهِ فَأْلَنَا



أَرَاهُ مــــــــــقْداماً لجُنْدِ الْوَطَنْ
ضِنَّ الزَّمَنْ
بِمِثْلِهِ بَيْنَ رِجَالِ الــــــــــفِطَنْ



أَرَاهُ يُوحِـــــى وَحْيَهُ شَــــاعِرَا
أَوْ نَاثِرَا
كَالــــــــنَّجْمِ مِنْ عَلْيَائِهِ سَافِرَا



أَرَاهُ فِى الـفَضْلِ رَفِـــــيعَ الـعَلَمْ
ثَبْتَ القَدَمْ
يَحْكِى أَبَاهُ بِمَضَاءِ الــــــــهِمَمْ



فَلْيَحْفَظِ اللهُ الــعَلِىُّ الــقَدِيــرْ
هَذَا الصَّغِيرْ
فَهْوَ رَجَاءٌ لِلمَعَالِى كَبِــــــيــرْ

٢١ حـــق الوطن

وحق الاخاء

هى المرثية التى أنشدها الناظم على ضريـــــح
المغفور له مصطفى كامل باشا فى حفلة الأربعين

أَعْلَى مكَانَتَكَ الإلـــــهُ وَشرَّفَا   فَانْعَمْ بِطِيـبِ جِوَارِهِ يَا مُصْطَفَى
أَلـــــيَوْمَ فُزْتَ بِأَجْرِ مَا أَسْلَفْتَهُ   خَيْراً ، وَكُلٌّ وَاجِدٌ مَا أَسْلَفَا
وَجُزِيتَ مِنْ فَانِى الوُجُودِ بِخَالِدٍ   وَمِنَ الأَسَى المَاضِى بِمُقْتَبَلِ الـــصَّفَا



أَعْظِمْ بِيَوْمٍ فِى الـزَّمَانِ وَمَنْ لَهُ   بِكَ وَاصِفـــاً ذَاكَ الجَلاَلَ فَيُوصَفَا؟!
يَوْمَ المَلاَئِكَةِ الـــكِرَامِ تَنَزَّلُوا   حَانِينَ حَوْلَكَ فِى السَّرِيرِ وَعُكَّفَا
وَتَحَمَّلُوكَ عَلَى الأَشِعَّةِ وَارْتَقَوْا   سِرْباً يَجُوزُ بِكَ الدَّرَارِىءَ مُوجِفَا
فَوَرَدْتَ وِرْدَكَ فِى الخُلُودِ مُنَعَّماً   وَالأَرْضُ مَائِدَةٌ عَلَيْكَ تَأَسُّفَا

لَمْ تُلفَ قَبْلَكَ أُمَّةٌ فِى مَشْهَدٍ   يُذْرِى الــرِّجَالُ بِهِ المَدَامِعَ ذُرَّفَا
مُتَثَاقِلِينَ مِنَ الـــوَقَارِ وَإِنَّمَا   سَارُوا بِطَيْفٍ نَاحِلٍ أَوْ أَنْحَفَا
بَحْرٌ مِــنَ الأَحْيَاءِ نَعْشُكَ فَوْقَهُ   فُلْكٌ يُظَلِّلُهُ الـــلِّوَاءُ مُرَفْرِفَا
يَبْكُونَ فِى آثَارِهِ الــعَلَمَ الَّذِى   آثَارُهُ مِنْ رِفْعَةٍ لاَ تُقْتَفَى
سَعَتِ الخَوَادِرُ حَاسِرَاتٍ وَالأَسَى   مُلْقٍ عَلَى الأَبْصَارِ سِتْراً أَغْدَفَا
ولَئِــنْ سَفَرْنَ وَلَمْ يَخَلْنَ فَإِنَّهُ   خَطْبٌ أَلاَنَ بِرَوْعِهِ صُمَّ الـصَّفَا
فَزِعَ الشَّبَابُ إِلى الشُّيُوخِ بِثَأْرِهِمْ   مِنْ دَمْعِهِمْ إِنْ خَانَهُمْ فَتَكَفْكَفَا
وَمِنَ الــغَضَاضَةِ إِنْ دَعَا دَاعِى الــعُلَى   بَعْدَ الفَقِــيدِ فَتًى بِهِمْ فَتَوَقَــفَا
جَزِعَ النَّصَارَى وَالــيَهُودُ لِمُسْلِمٍ   هُوَ خَيْرُ مَنْ وَالَى وَأَوْفَى مَنْ وَفَى
بَكَوُا المُرَجَّى فِى خِلاَفٍ عَارِضٍ   لِيُزِيــلَ ذَاكَ الــعَارِضَ المُتَكَشِّفَا
وَاشْتَدَّ رُزْءُ المُسْلِمِينَ وَحُزْنُهُمْ   لَمَّا مَضَيْتَ وَلَسْتَ فِيــهِمْ مُخْلَفَا
مَنْ بَعْدَ كَاتِبِهِمْ وَبَعْدَ خَطِيــبِهِمْ   يُعْلِى لَهُمْ صَوْتــاً وَيَنْشُرُ مُصْحَفَا



٢٢ مقاطعة

نظمت لما بدئ اضطهاد الأحرار وسلط قانون المطبوعات على الأفكار

شَرِّدُوا أَخْيَارَهَا بَحْراً وَبَرّاً وَاقْتُلُــوا أَحْرَارَهَا حُرّاً فَحُرّاً
إِنَّمَا الـصَّالِحُ يَبْقَى صَالِحــاً آخِرَ الـدَّهْرِ وَيَبْقَى الــشَّرُّ شَرّاً
كَسِّرُوا الأَقْلاَمَ هَلْ تَكْسِيــرُهَا يَمْنَعُ الأَيْدِيَ أَنْ تَنْقُشَ صَخْرَا ؟
قَطِّعُوا الأَيْدِيَ هَلْ تَقْطِــيعُهَا يَمْنَعُ الأَعْيُنَ أَنْ تَنْظُرَ شَزْرَا ؟
أَطْفِئُوا الأَعْيُنَ هَلْ إِطْفَاؤُهَا يَمْنَعُ الأَنْفَاسَ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرَا
أَخْمِدُوا الأَنْفَاسَ، هَذَا جُهْدُكُمْ وَبِهِ مَنْجَاتُنَا مِنكُمْ. . . فَشُكْرَا !

٢٣ تهديد بالنفى

أهديت هذه الأبيات إلى رئيس وزارة توعد الشاعر بالنفى من مصر بعد انتشار ما نظمه تحت عنوان «مقاطعة»

أَنَا لاَ أَخَــافُ وَلاَ أُرَجِّــى   فَرَسِــى مُؤَهَّبَــةٌ وَسَــرْجِى
فَإِذَا نَبَا بَــى مَتْنُ بَــرٍ   فَالْمَطِيَّــةُ بَطْــنُ لُــجَّ
لاَ قَوْلَ غَيْرَ الْحَــقِّ لِــى   قَولٌ وَهَــذَا الــنَّهْجُ نَهْجِى
أَلْوَعْدُ والإِيــعَادُ مَا كَانَــا   لَــدَىَّ طَرِيــقَ فُلْــجِ[1]

---

(١) الفلج : الظفر .

٢٤ وردة ماتت

إحدى قصائد الذكرى السنوية التى كان يهديها الشاعر إلى روح فقيدة عزيزة

أبْكَتِ الرَّوْضَ عَلَيْهَا جزَعــــا وَرْدَةٌ فِى عُنْفُوَانِ الْعُمْرِ حَانَتْ[1]
لبِسَتْ زِينَتَهـــــــا عَارِيَةً لِشَبَابٍ ثُمَّ رَدَّتْ مَا اسْتَدَانَتْ
لَقِيَتْهَا الأَرْضُ تكْرِيـــــماً لَهَا بَيْنَ جَفْنَيْنِ فَعَزَّتْ حَيْثُ هَانَتْ
وَابْتَنَتْ مِنْ صَدْرِهَا قَبْراً لَهـــا جَنَّتِ الْحُسْنَى عَلَيْهِ وَاسْتَكَانَتْ
ذَبُلَ الـــرَّيْحَانُ حُزْنـــاً وَبَدَتْ سِنَةٌ فِى أَعْيُنِ الـــنَّرْجِسِ رَانَتْ



فــــى جِنَانِ الْخُلْد عُقْبَى حُرَّةٍ لَمْ تَمِنْ يَوْماً إذَا الأَزْهَارُ مَانَتْ[2]
خَابَتِ الــــدُّنْيَا بِهَا لَمْ تَرْعَهَا وَقَدِيـــماً خَابَتِ الـــدُّنْيَا وَخَانَتْ

(١) حانت : هلكت .

(٢) لم تمن : لم تكذب .

يَا فَرَاشَات هُنَا حَائـــــــرةً كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَى الـــقَبْرِ تَحَانَتْ
حَبَّذَا أَلْوَانُك الْبِيـــــض الَّتِى مثلـما نَوَّعَهَا الْحُزْنُ اسْتَبَانَتْ(١)
كَمْ بِهَا مِنْ مَلْمَحٍ يَنْدَى أَســى مَسْحَةُ الـــدَّمْعِ تَغَشَّتْهُ فَزَانَتْ
حَبَّذَا أَجْنِحَـــــــةٌ وَهْمِيَّةٌ حَمَلَتْ وِقْراً وَبِالله اسْتَعَانَتْ
كُبْرَيَـــــقَات تَنَاهَتْ سُرْعَةً فَاسْتَقَرَّ الـــضَّوْءُ مِنْهَا وَتَفَانَتْ
مَالَهَا ظِلٌّ إِذَا مَا أَوْضَعَتْ وَلَهَا ظِلٌّ خَفَـــيفٌ إِنْ تَوَانَتْ(٢)
يَلْمَحُ الـــظَّنُّ إِذَا مَا رَفْرَفَتْ سِرْبَ أَرْوَاحٍ صَغـــيرَاتٍ تَدَانَتْ
وَلَهَا أَنَّاتُ نَوْحٍ حَيْثُمـــــا بَلَغَتْ سَامِعَةَ الْقَلْبِ أَلاَنَتْ



مَا الـذِى تَبْغِـــينَ مِنْ جَوْبِك يَا شَبُهَاتِ الـطَّيْرِ؟ قَالَتْ وَأَبَانَتْ :
«نَحْنُ -آمَالَ الصِّبَى- كَانَتْ لَنَا هــهُنـا مَحْبُوبَــةٌ عَاشَت وَعَانَتْ
كَانَتْ الْـــوَرَدَةَ فِى جَنَّتِنَـــا مَلَكَتْ بِالْحَـــقِّ، والجَنَّةُ دَانَتْ
مَا لَبِثْنَـــا أَنْ رَأَيْنَاهَـــا وَقَدْ هَبَطَتْ عَنْ ذلكَ الْعَرْشِ وَبَانَتْ
فَتَرَانَا نَتَحَـــــرَّى أَبَـــدَاً إِثْرَهَا أَوْ نَتَلاَقَــى حَيْثُ كَانَتْ »

(١) جمع البيض هنا يراد به تعدد نوع البياض فيها .

(٢) أوضعت : أسرعت .

٢٥ العزلة فى الصحراء

خير من العيشة فى المدينة

وَلُّوا الْمَدِينَةَ وَجْهكُمْ وَدَعُونِى   أَنَا فِي هَوَاى وَعُزْلَتِى وَجُنُونِى
عُودُوا إِلى الْبَلَدِ الأَمِينِ وَغَادِرُوا   بَلَداً لِبُعْدِ النَّاسِ غَيْرَ أَمِينِ
عُودُوا إِلى حَيْثُ النَّمائِم والأَذَى   وَالْعَيْشُ بَيْنَ وَسَاوِسٍ وَظُنُونِ
حَيْثُ الرَّذَائِلُ فِى مَرَافِلِ عِزَّةٍ   حَيْثُ الْفَضَائِلُ فِى غَلاَئِلِ هُونِ
حَيْثُ الضِّيَافَةُ لِلنَّزِيلِ الْمُرتَجَى   مَا شَاءَ حَتَّى الْعِرْض حَتَّى الدينِ
حَيْثُ التِّجَارَةُ بِالْودَادِ وَ بِالْقِلَى   وَبِكُلِّ رأْىٍ فِى الْحَيَاة أَفِينِ[1]
حَيْثُ المَصُونُ هُوَ الحُطَامُ الْمُقْتَنَى   وَعَفَافُ ذَاتِ الخِدْرِ غَيْرُ مَصُونِ[2]

---

(١) القلى : البغض . أفين : ضعيف .

(٢) الحطام : ما تكسر من الشئ . يريد : التافه .

حَيْثُ المُسِيءُ إِلَى أَخِيـــــهِ بِمَنِّهِ   طَاوِي الضُّلوعِ عَلَى نَدَىً مَمْنُونِ[1]
حَيْثُ الفَتَى كَالشَّيْخِ يَحْنِي رأْسَهُ   وَيَرَى الْحَقِيـــقَةَ رؤْيَةَ التَّخْمِينِ
بَادِي الـــهُمُومِ ولا هُمُومَ وَإِنَّمَا   هُنَّ الْبَقَايَا مِنْ طِلا وَمُجُونِ[2]
تِلْكَ الْحَضَارَةُ لاَ أُحِبُّ خِلاَلَهَا   وَأَرَى مَحَاسِنَهَا شِبَاكَ فُتُونِ
مَاذَا دَهَانِي فِي اخْتِبَارِي أَهْلَهَا   مِنْ كِذْبِ آمَالِي وَصِدْقِ عُيُونِي؟

(٣) المن : تكرار ذكر النعمة ، وممنون : مجحود ، أو محسوب لا يفتأ بذكره .

(٤) الطلا : الخمر .

٢٦ مـن غريـب

إلى عصفورة مغتربة

نظمت فى جنيف بقرب تمثال جان جاك روسو . وقد رأى الشاعر على شجرة طائراً يشبه أن يكون مصرياً .

هى خطرة فكر للناظم ألف أن يرسل مثلها فى موعد من كل عام تحية إلى فقيد عزيز فى عالم الغيب . وقد جعل مدارها فى هذه القصيدة على عصفورة اشتبهت عليه بين أن تكون مجلوبة من مصر للاتجار أو قاطعة من قواطع الأطيار .

يَا مَنْ شَكَتْ أَلَمِى مَعِى   طَيِّبَتِهِ فِى مَسْمَعِى
شَكْوَاكِ أَلْطَفُ بَلْسَمٍ   لِجَرَاحَةِ الْمُتَوَجِّعِ
مَا أَعْلَقَ الشَّدْوَ الرَّخِيمَ بِكُلِّ قَلْبٍ مُولَعِ
غَنِّى أَهَازِيجَ النَّوَى   وَعَلَى نُواحِى أَوْقِعِى[1]

(١) الأهازيج : جمع أهزوجة ، وهى ما يترنم به من الأغانى .

بِنْتَ «الْكِنَانَةِ» مَا رَمَى ... بِكِ بَيْنَ هَذِى الأَرْبُعِ ؟
فِيمَ اغْتَرَبْتِ وَكُنْتِ فِى ... ذَاكَ الأَمَانِ الأَمْنَعِ ؟
أَحُمِلْتِ مَحْمَلَ سِلْعَةٍ ... جَلَباً بِغَيْرِ تَطَوُّعِ ؟[1]
فَفَرَرْتِ مِنْ قَفَصِ الْكَفِيلِ إِلَى الْفَضَاءِ الأَوْسَعِ
وَبِوُدِّكِ الْعَوْدُ الْقَرِيبُ لِسِرْبِكِ الْمُتَمَتِّعِ
فِى «مِصْرَ» مَصْرَخَةِ اللَّهِيفِ وَمَلْجَإِ الْمُتَفَزِّعِ
«مِصْرِ» السَّمَاءِ الصَّحْوِ، «مِصْرِ» الدِّفْءِ، «مِصْرِ» الْمَشْبَعِ
«مِصْرَ» الَّتِى مَا رِيعَ سَاكِنُهَا بِرِيحٍ زَعْزَعِ[2]
حَيْثُ الْمَرَاعِى وَالنَّدَى ... لِلْمُرْتَوِى وَالْمُرْتَعِى
حَيْثُ السَّوَاقِى الْحَانِيَاتُ عَلَى الطُّيُورِ الرُّضَّعِ
حَيْثُ الْحَرَارَةُ مَا تُوَالِ رَبِيبَهَا يَتَرَعْرَعِ ؟
أَمْ أَنْتِ مِنْ تِلْكَ الْجَوَالِى فِى الْفُصُولِ الأَرْبَعِ[3]

---

(١) الجلب : ما تجلبه من سلعة بلد إلى بلد آخر .

(٢) زعزع : شديدة تزعزع الأشياء .

(٣) الجوالى : جمع جالية ، وهى الطائفة المهاجرة من وطن إلى وطن .

لاَ تَعـــــــرِفِينَ مِـــنَ الزَّمَـــا ... نِ سِـــــــــوَى المَكَانِ المُمْرِعِ
تَتَبَيَّـــــــنِينَ مِنْ مُتَرَبَّـــــــعٍ ... أَبَـــــداً إلَـــــى مُتَرَبَّـــــعِ
بِهِدَايَــــةٍ صَحَّـــتْ عَلَـــــى ... طَلَـــبِ الأحَـــبِّ الأنْفَـــعِ
وَثُقُـــوبِ فِكْـــرٍ فِي الـــتَّوَجُّـ ... ـــهِ وَاخْتِيَـــارِ المَنْجَـــعِ[1]
وَغَنَـــاءِ رَأْيٍ عَـــنْ دَلاَ ... لَةِ إِبْـــرَةٍ أَوْ مَهْيَـــعِ[2]
وَقَنَاعَـــةٍ مِـــنْ قِسْـــمَةٍ ... لَكِ عِنْـــدَ خَيْرِ مُـــوَزِّعِ
فِي الـــسِّرْبِ أَنَّى سَـــارَ لاَ ... تَخْشَـــيْنَ سُـــوءَ المَوْقِعِ



الـــسِّرْبُ مَا فِـــي الـــسِّرْبِ مِنْ ... عَجَبٍ لِذِي قَلْبٍ يَعِـــــي
تَنْضَـــمُّ حِـــيْنَ جَـــلاَئِهِ ... أَشْـــتَاتُهُ فِـــي مَجْمَـــعِ
مِنْ غَيْرِ مِيـــــــعَادٍ تَقَدُّ ... مَ لِلـــرَّحِيـــلِ المُزْمَـــعِ
فَـــإِذَا عَـــلاَ أَزْرَى عَلَـــى ... سِرْبِ الـــسَّفِينِ المُقْلِعِ[3]

---

(١) ثقوب الفكر : نفاذه . المنجع : الموضع المقصود لطلب العيش .

(٢) المهيع : الطريق الواسع .

(٣) أزرى عليه : عابه وتنقصه ، والمراد : فاقه .

آلآفُ آلآفٍ بِغَـــــــيـــــــرِ تَلَكُّؤٍ وتَضَعْضُـعِ
وَبِلاَ هَزِيـــزِ تَقَلْقُــلٍ وبِلاَ أَزِيـــزِ تَخَلــعِ
وَبِلاَ اصْطِــدَامٍ فِى الــزِّحَا مِ مُحَطِّـــمٍ وَمُصَــدِّعِ
إنْ تَلْتَئِــمْ فَمُرُورُهَــا كَالْعَــارِضِ الْمُتَقَشِّــعِ(١)
أَوْ تَفْتَــرِقْ فَهِــىَ الْجُيُو شُ بِقَــادَةٍ وَبِــتُبَّــعِ(٢)
كُـلٌّ يَسِـيــرُ وَلاَيُخَـا لِفُ فِــى الـطَّرِيــقِ الْمُشْرَعِ(٣)
كُـــلٌّ يُجَــارِى رَأْيَــهُ وَالــرَّأْىُ غَيْــرُ مُــوَزَّعِ
كُـــلٌّ كَرُبَّـــانٍ يُدِيــرُ زِمَــامَ فُلْكٍ طَيِّــعِ



بِالْيُمْنِ يَاغِرِّيــدَةَ الْــوَادِى إِلى الْــوَادِى ارْجِــعِى
إِنِّى لأَسْــمَعُ فِــى غِنَــائِـك رَقْرَقَــاتِ الأَدْمُــعِ
وَيَرُوعُنِــى شَــجَنٌ بِــهِ كَشَجِـــىٍّ بِحَلْــقِ مُــوَدِّعِ(٤)

---

(١) العارض : السحاب . المنقشع : المتزايل .

(٢) تبع : جمع تابع .

(٣) المشرع : المبيّن .

(٤) الشجى : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

تِلْكَ الْبَرَاعَةُ مَا اسْتَتَمَّـ ـــتْ فِـى جَمَــالٍ أَبْــرَعِ



جِسْــــمٌ كَحُــــقٍ لِلْحَيَــــا ةِ مُعَـــرَّقٍ وَمُضَلَّــــعِ[1]

يَغْشَــاهُ ثَـــوبٌ دَبَّجَــتْ أَلْوَانَـــهُ يَـــدُ مُبْـــدِعِ

أَلْمَتْـــنُ يَزْدَهِـــرُ ازْدِهَـــا رَ الأَخْضَـــرِ الْمُتَجَمِّـــعِ

وَالـصَّدْرُ فِيـــــمَا دُونَـــهُ يُزْهَـــى بِأَحْمَـــرَ مُشْبَـــعِ

وَالْجِـــيدُ زِيـــنَ مِنَ الـنُّضَا رِ بِحِلْيَـــةٍ لَـــمْ تُصْنَـــعِ

دَعْ كُــلَّ نَقْــشٍ فِـى الْخِــلاَلِ مُوَشَّــــمٍ وَمُبَقَّـــــعِ

وَدَعِ الْقَـــوادِمَ تَسْـــتَقِلَّ بِرِيـــشِهَا الْمُتَنَـــوِّعِ[2]

آيَــاتُ خَلْــقٍ مَـــنْ يُجِــلْ نَظَـــراً بِهَـــا يَتَخَشَّـــعِ

أَعْظِـــمْ بِهَا فِــى ذَلِكَ الْجِـــ ـسْمِ الـصَّغِيـــرِ الأَضْـرَعِ[3]

لَوْلاَ الْحَـــرَاكُ لَخِيــلَ مِـــنْ ثَمَـــرٍ هُنَــالِكَ مُونِـــعِ

---

(١) معرق ومضلع : ذو عروق وأضلاع .

(٢) القوادم : الريش فى مقدم الجناح .

(٣) الأضرع : الضعيف .

حُلْوُ الشَّمَائِلِ إنْ يُجَارِ الطَّبْعَ أَوْ يَتَطَبَّعِ
يَرْنُو بِفَائِضَتَيْ سَنىً كَالْجَوْهَرِ الْمُتَطَلِّعِ
يَسْهُو بِغَاشِيَتَيْنِ تَنْسَدِلاَنِ سَدْلَ الْبُرْقُعِ
مُتَطَاوِلُ الْخَدَّيْنِ . فِي وَجْهٍ حَدِيدِ الْمَقْطَعِ
مِنْقَارُهُ كَقُلاَمَتَيْنِ مِنَ الظَّلاَمِ الأَسْفَعِ (١)



أُخْتَ الشَّوَادِي الخُضْرِ حَانَتْ لَفْتَةُ الْمُتَنَوِّعِ (٢)
بِكِ نَزْعَتِي نَحْوَ الْحِمَى وَعَدَاكِ قَيْدَى فَانْزِعِي (٣)
أَلْقِي الْوَدَاعَ تَأَهُّبًا وَاسْتَوْفِزِي وَاسْتَجْمِعِي
لله وَثْبَتُكِ الْبَدِيعَةُ إذْ وَثَبْتِ لِتَطْلُعِي
حَيْثُ الضُّحَى مُتَسَاكِبٌ كَطِلاً بِكَفٍّ مُشَعْشِعِ (٤)

---

(١) كقلامتين : كقطعتين ، ومنه قلامة الظفر . والأسفع : الأسود .

(٢) الشوادى : جمع شادية ، وهى المغردة . والمتنوع : المتقدم فى السير ، والمراد : المسافر .

(٣) عداك : فاتك

(٤) الطلا : الخمر .

وَالـرِّيــحُ تَحْضُنُ آخِـرَ الـنَّغَـــ ـــمَاتِ حَضْـــنَ الْمُرْضِـــعِ
وَالـــدَّوْحُ مَيَّــــادُ الـــرُّؤو سِ مُشَيَّـــــــــعٌ بِالأذْرُعِ
وَتَعَطُّـــفُ الأفْنَـــانِ شِبْـــ ـــــهُ تَقَصُّفٍ فِـــى أَضْلُعِ



خُضْـــتِ الـضِّيَاءَ عَلَى غَـــوَا رِبِ مَوْجِـــهِ الْمُتَدَفِّـــعِ[1]
تَتَصَاعَدِيـــنَ وَمَـــا الـــشُّهَا بُ الْمُسْتَطَـــارُ بِأسْـــرَعِ
يَرْمِى جَنَـــاحَـــاكِ الْمَهَا وِىَ بِالـــشِّعَاعِ الـــسُّطَّعِ[2]
وَتُرَاعُ رَائِعَـــةُ الـــنُّهَا رِ لِوَهْجِـــكِ الْمُتَفَـــرِّعِ
وَلَشِكَّةُ الأَلْـــوَانِ حَوْلَكِ كَالـــنِّصَالِ الـــشُّرَّعِ[3]
مَزَّقْتِ أَسْــــتَارَ الـــسَّنَى عَـــنْ عَالَـــمٍ مُتَقَنِّـــعِ[4]
جَـــمٌّ الْخَلايَـــا فِى حَوَا شِـــى الـــنُّورِ خَافِى الْمَوضِـــعِ

(١) غوارب الموج : أعاليه .
(٢) الشعاع (بكسر الشين) : جمع شعاع (بضم الشين) .
(٣) الشكة : النوع من شك السلاح . الشرّع : المسددة .
(٤) عالم متقنع : عالم الهباء .

أَنْزَلْتِ هَـــــوْلاً فِـــى قُرَاهُ   وَفِى الـــــذَّرَائـــــرِ أَجْمَعِ(١)
أَنَظَـــرْتِ عَـــنْ كَثَبٍ إِلَى   مَـــــــــلإٍ هُنَـاكَ مُرَوَّعِ
هِىَ وَقْعَةٌ فِـــى الْجَـــو بَيْـــ   ـــنَ هَبَائِـــهِ الْمُتَلَمِّـــعِ
هَبَّـــتْ خَلاَئِقُـــهُ عَلَـــى   ذَاكَ الْمُغِيــــــرِ الْمُفْــزِعِ
فِى أُسْـــدِ غَـــابٍ تَسْتَطِـيـ   ـــرُ وَفِـــى ذُبَـــابٍ وُقَّـــعِ
يَجْدُدْنَ حَرْبــــاً كَالْكُمَـــــا   ةِ وَكَالـــــرُّمَاةِ الــــرُّكَّعِ(٢)
يُـــــرِرْنَ أَوْ يَفْـــــرِرْنَ   بَيْنَ تَفَـــرُّدٍ وَتَجَمُّـــــعِ
يَرْمِينَ بِـــالــرُّجُمِ الـــدِّقَا   قِ وَبِـــالـنُّجُـــومِ الـظُّلَّعِ(٣)



تِيـــــــهِى بِغَارَتِـــكِ السَّنِيَّةِ   فِـــى الْمَجَـــالِ الأَرْفَـــعِ
مَا شَأْنُ «كِسْـــرَى» فِـى الْفُتُـــو   حِ وَمَـــا مَفَاخِـــرُ «تُبَّـــعِ» ؟
لا مَجْـــدَ يَبْلُغُ مَجْــدَكِ الأَسْنَـ   ـــــىَ بِـــذَاَ الْمَفْـــرَعِ(٤)

---

(١) الذرائر : جمع ذرية ، وهى الولد والنسل .

(٢) يجددن : يجتهدن ويشتددن .

(٣) الظلع : جمع ظالع وهو الذى يغمز فى مشيته .

(٤) المفرع : المكان العالى .

لاَ صَفْـــــوَ أَرْوَحُ مِـــــنْ تَحَيُّرِ خَصْمِـــكِ الْمُتَضَعْضِـــعِ
لاَ سِلْمَ أَبْهَجُ مِـــنْ تَهـــــا يُلِ رُكْنِـــــهِ الْمُتَزَعْـــــزِعِ
أُمَمُ الأَثِـــــيرِ جَمَالُهَـــــا فِـــــى أَنْ تُرَاعَ ، فَرَوِّعِـــــى
وَتَتَمُّ آيَـــــةُ حُسْـــــنِهَا بِالأَمْـــــنِ بَعْـــــدَ تَفَزُّعِ
فَإِذَا مَضَيْتِ وَلَـــمْ تُصَـــبْ بِبَلاَئِـــــكِ الْمُتَوقَّـــــعِ
بَلْ جُـــزْتِ بِالْحُسْـــنَى وَسَـــا ءَ تَـــــوَرُّعُ الْمُتَـــــوَرِّعِ
ثَابَتْ إِلـــــى فَرَحٍ ، كَـــــذَ لِكَ تَوبَـــــةُ الْمُتَسَـــــرِّعِ
فَسَدِيمُهَـــــا كَغُبَـــــارِ ذُرِ سَـــاطِعٍ فِـــــى مَسْطَعِ(١)
وَالْجَـــــــوُّ تَمْـــلأُهُ نُسَـــا لاَتُ الْـــــبُرُوقِ الـــــلُّمَّعِ(٢)



سِيـــــرِى وَوَلِّى صَـــدْرَكِ الْـ مُشْتَـــاقَ شَـــطْرَ الْمَرْبَـــعِ(٣)

---

(١) السديم : رقيق الضباب .

(٢) النسالة : يراد بها ما يتطاير من البروق فى عرض السماء ، وهى فى الأصل ما يسقط من الصوف أو الشعر .

(٣) المربع : يراد به الوطن ، وهو فى الأصل المنزل فى الربيع .

حَتَّـــى إِذَا مَـــا جِئْتِـــهِ وشَرَعْتِ أَعْــذَبَ مَشْـــرِعِ[1]
وَشَــدَوْتِ مَا شَــاءَ الــسُّرُو رُ عَلَـــى ارْتِقَـــاصِ الأَفْرُعِ
عُوجِــــــــى بِبُسْتَانٍ هُنَا لِكَ فِــــى الْعَرَاءِ مُضَيَّــــعِ
صَفْصَافُــــــهُ مُتَنَـــــاوِحٌ وَالــــنَّوْرُ بَــــادِى الْمَدْمَــــعِ
لِى فِى ثَرَاهُ دَفِيــــــــــنَةٌ كَـــــــــالْكَنْزِ فِى الْمُسْتَوْدَعِ
تُخْفِـــى الأَزَاهِـــرُ قَبْرَهَـــا عَـــنْ أَعْيُنِ الْمُســـــــتَطْلِعِ
كَانَتْ مِـــــــــــثَالاً لِلْمَحَا سِنِ فِـــى مِثَـــالٍ أَرْوَعِ
فَتَحَــوَّلَتْ لُطْفـــــــاً إِلَى طَيْـــــفٍ أَرَقَّ وَأَبْـــــدَعِ
طَيْـــــفٍ يَشِـــفُّ بِهِ الْبِلَى عَنْ رِفْعَــــــةٍ وَتَمَنُّــــــعِ
فَإِذَا الـــــــــسَّمَاءُ قَرَارُهُ وَالــنَّجْمُ بَعْــضُ الْيَرْمَــعِ[2]
قُولِـــــــــــــى لَهُ إِنْ جِئْتِهِ يَا أُنْسَ هَـــــذَا الْبَلْقَــــعِ[3]
أَتُحِسُّ فِى هَــــذَا الـــثَّرَى نَبَضَانَ قَلْـــبٍ مُوجَــــعِ ؟

(١) شرعت : جئت إلى الماء . المشرع : المنهل .

(٢) اليرمع : الحصى اللامع .

(٣) البلقع : الأرض المقفرة .

هـــذَا حَنِـــينٌ مِـــنْ فُؤَا　دِ مُحِبِّكِ الْمُتَــــــــفَجِّعِ
عَدَتِ الْعَــوَادِى جِسْـــمَهُ　عَنْ قُرْبِ هـــذَا الْمَضْجَـــعِ
فَمَضَـــى بِأَحْـــزَنِ مَا يَكُـــو　نُ أَخُـــو الأَسَـى وَبِأَجْـــزَعِ
وَنَوَى الــضَّرِيـــحِ أَضَـــرَّهُ　كَنَـــواكِ يَـــوْمَ المَصْـــرَعِ



نِعْمَ الـشَّفِـــيعَةُ أَنْتِ لِـــى　عِنْـــدَ المَلاَئِـــكِ ! فَاشْفَعِى
مَنْ لِى بِصَـــوْتٍ مِثْلِ صَـــوْ　تِكِ مُبْلِـــغٍ لِتَضَرُّعِـــى ؟
يُنْهَى إِلَـــى ثَاوِى الْجِنَـــا　نِ فَيَسْتَجِيـــبُ وَقَـــدْ دُعِـــى
إِنَّ الَّذِى أَبْكِيـــــهِ وَهْـــ　ـــوَ مِنَ الـنَّعِيـــمِ بِمَرْتَـــعِ
بَرٌّ عَلَى رَغْـــمِ الـــفِرا　قِ بِعَبْـــدِهِ الْمُتَخَضِّـــعِ
كَمْ زُرْتُـــهُ فِـــى يَقَظَةٍ　وَأَلَـــمَّ بِـــى فِـــى مَهْجَـــعِ
يَدْنُـــو إِلَـــيَّ تَنَزُّلاً　عَـــنْ عَرْشِـــهِ الْمُتَرَفِّـــعِ
وَكَـــمِ الْتَمَسْـــتُ لِصَوْتِـــهِ　رَجْعَـــاً فَحَقَّـــقَ مَطْمَعِـــى

قَطَعَ الـــغُيُوبَ وَجَـــاءَنِى   بِعَرُوضِـــهِ المُتَقَطِّــــعِ[1]
هَـــذَا الْوُفَـــاءُ وَفَـــاؤُهُ   فَادْعِيـــــــهِ لاَ يَتَمَنَّــعِ
بِهُتَـــافِ لَوْعَتِـــىَ اهْتِفِـــى   وَصَدَى حَنِـــينِى رَجِّعِـــى
حَتَّى يُجِـــيبَ ، فَأَنْصِتِـــى   بِضَمِيـــــرِىَ المُتَسَمِّــعِ !

(١) العروض : المراد به الشعر .

٢٧ إلى حافظ إبراهيم

في الحفلة التى أقيمت لتكريمه عام ١٩١٢

يَا شَاعِرَ النِّيلِ جَارِ النِّيلَ بِالشِّيَمِ وَحَاكِ أَطْيَارَهُ بِالشَّدْوِ وَالنَّغَمِ
فِى ضِفَّتَيْهِ وَفِى تَغْرِيدِ صَادِحِهِ مَا فِى نَظِيمِكَ بَيْنَ الْوَحْيِ وَالْكَلِمِ
وَفِى مَعَانِيكَ مِنْ أَرْوَاحِ جَنَّتِهِ أَشْفَى النُّسَيْمَاتِ لِلأَرْوَاحِ وَالنَّسَمِ(١)
شِعْرٌ كَأَنَّ مَفِيضَ الْخَيْرِ سَالَ بِهِ عَلَى النُّهَى سَيْلَهُ فِى القَاعِ وَالأَكَمِ(٢)
كِلاَهُمَا مُخْصِبٌ قَحْلاً فَمُخْرِجُهُ حَقْلاً وَمُؤْنِسُهُ فِى وَحْشَةِ الدِّيَمِ(٣)
يَطْغَى فَيَغْشَى عَبُوسَ الْوَجْهِ أَمْرَدُهُ وَيَنْجَلِي عَنْ عِذَارٍ فِيهِ مُبْتَسِمِ(٤)

(١) الأرواح : جمع ريح وهو الهواء . النسم : النفوس .

(٢) القاع : الأرض المنخفضة . الأكم : التلال .

(٣) فى وحشة الديم: أى فى غيبتها . والديم جمع ديمة : وهى المطرة الدائمة .

(٤) العذار : جانب الوجه .

بذَلكَ الشِّعْرِ صِفْ «مِصْراً» وأُمَّتَـــهَا | صِفْ كُلَّ مَعْنًى بِهَا كَالـــنَّافِحِ الـــشَّبِمِ
صِفْ ذَلِكَ الـلُّطْفَ لــوْ عَزَّتْ بِهِ أُمَمٌ | يَوْمـــاً لَعَزَّتْ بِهِ «مِصْرٌ» عَلَى الأُمَمِ
صِفْ ذَلـكِ الأُنْسَ يَجْرِى مـنْ مَنَابِعِهِ | عَذْبَ المَنَاهِلِ مَبْذُولاً لِكُلِّ ظَمِى
صِفْ ذَلـكِ الـرِّفْقَ يَقْضِى فِى تَرَقْرُقِهِ | مَالَيْسَ تَقْضِى رِقَاقُ الـسُّمْرِ والخُذُمِ(١)
صِفْ مَا يَشَاءُ جَمَالُ الــطَّبْعِ مِنْ دَعَةٍ | وَمَا يَشَاءُ جَلاَلُ النَّفْسِ مِنْ كَرَمِ
تِلْكَ الْخَلاَئِقُ لاَ يَجْلُو رَوَائِعَهَا | نَظْم كَنَظْمِكَ مِنْ جَزْلٍ وَمُنْسَجِمِ



إِنِّى أَوَدُّ لهَا وَصْفـــاً ويَرْجِعُنِى | عَنْهُ قُصُورِى إِذَا حَثَّ الْهَوَى قَلَمِى
مَنْ لِى بِنَظْمِكَ أَسْتَدْنِى بِمُعْجِزِهِ | أَقْصَى مَرَامٍ لآمَالِى عَلَى هِمَمِى
حَمْداً «لِمـــصْرَ» وَإِطْرَاءَ لأُمَّتِهَا | عَنْ صَادِقٍ فِيهِمَا عَالٍ عَنِ التُّهَمِ
«مِصْرُ» الْحَضَارَةُ وَالآثَارُ شَاهِدَةٌ | «مِصْرُ» السَّمَـــاحَةُ مِصْرُ المَجْدُ مِنْ قِدَمِ
مِصْرُ الــعَزِيــزَةُ إِنْ جَارَتْ وَإِنْ عَدَلَتْ | «مِصْرُ» الْحَبِيــــبَةُ إِنْ نَرحَلْ وإِنْ نُقِمِ
نَحْنُ الـــضُّيُوفَ عَلَى رَحْبٍ وَمَكْرُمَةٍ | مِنْهَا وَإِنَّا لَحَفَّاظُونَ لِلــــــذِّمَمِ
جِئْنَا حِمَاهَا وَعِشْنَا آمِنـــينَ بِهِ | مُمَتَّعِينَ كــــأَنَّ العَيْشَ فِى حُلُمِ

(٥) الخذم : السيوف .

فـــــأَيُّنَا قَابَلَ الـنُّعْمَى بِسيِّئَةٍ　　فـــــإِنّنَا مُلْزِمُوهُ أَنْكَرَ الْحُرَمِ[1]
وَمَنْ يَنَلْهُ بِإِيـذَاءٍ فـــــإِنَّ بِنَا　　ضِعْفَيْهِ مِنْ أَثَرِ الإِيـــذَاءِ وَالأَلَمِ
لَكِنَّ قَوْمِىَ أَبْرَارُ الـــقُلُوبِ بِهِ　　دَعِ الْمُرِيبَ الَّذِى يَدْعُو إِلى وَهَمِ



لاَ بَارَكَ اللهُ فِى سَاعٍ بِتَفْرِقَةٍ　　بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَالْجَـــارَيْنِ مِنْ أَمَمِ[2]
يَاحَافِظَ الْخَيْرِ كُنْ فِى عَقْدِ وُدِّهِمَا　　فَرِيدَةَ الـعِقْدِ يَلْبَثْ غَيْرَ مُنْفَصِمِ
أَكْشِفْ بِحَزْمِكَ أَسْتَارَ الْحَفِيـــظَةِ عَنْ　　فَخٍّ تُصَادُ بِهِ الأَعْرَابُ لِلْعَجَمِ
أَلـــشَّاعِرُ الْحَقُّ مَنْ يَجْلُو الـشُّعُورُ لَــهُ　　شَمْسـاً مِنَ الْوَحْىِ فِى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
بَيْنَ الـنَّبِيِّينَ وَالسُّوَاسِ نُصَّ لَـهُ　　مِنَ العُلَـى مِنْبَرٌ لِلرَّأْىِ وَالْحُكُمِ
وَعَلَّ أَيْسَرَ شَىْءٍ فِى مَحَامِدِهِ　　تَجْوِيدُ قَوْلٍ مُقَفَّى اللَّفْظِ مُنْتَظِمِ
فَخَارُهُ حَيْثُ يَلْقَى رَحْمَةً وَهُدًى　　وَحَيْثُ يَنْهَى عَنِ الأَهْوَاءِ وَالنِّقَمِ
وَحَيْثُ يَحْمِى الْحِمَى مِنْ ضَلَّةٍ وأَسىً　　وَحَيْثُ يَدْعُو إِلى الأَخْطَارِ وَالعِظَمِ
هَذَا الَّذِى أَنْتَ يَاابْنَ النِّيلِ فَاعِلُهُ　　وَذَاكَ مَجْدُكَ مَجْدُ النِّيلِ وَالْهَرَمِ

---

(١) الحرم : جمع حرمة ، وهى الحرام .

(٢) من أمم : من قرب .

٢٨ محاورة مشتركة

بين حافظ إبراهيم وخليل مطران

أنشدها الشاعران فى حفلة خيرية لرعاية الأطفال بدار الأوبرا

حافظ

هَذَا صَبِـــــــىٌّ هَائِـــــــمٌ تَحْـــتَ الـــظَّلاَمِ هُيَامَ حَائِــرْ
أَبْلَى الــــشَّقَاءُ جَدِيـــــدَهُ وَتَقَلَّمَـــــتْ مِنْهُ الأَظَـــــافِرْ
فَانْظُرْ إِلـــــى أَسْـــــمَالِهِ لَمْ يَبْقَ مِنْهَـــا مَا يُظَـــاهِرْ(١)
هُوَ لاَ يُرِيــــــدُ فِرَاقَهَـــــا خَوْفَ الْقَـــوَارِسِ وَالْهَوَاجِـــرْ(٢)
لــــكِنَّهَا قَدْ فَارَقَتْـــــــهُ فِرَاقَ مَعْـــــذُورٍ وَعَـــــاذِرْ
إِنِّى أَعُـــــدُّ ضُلُوعَـــــهُ مِنْ تَحْتِهَا وَالــلَّيْلُ عَاكِــــرْ(٣)

---

(١) يظاهر : يعين ، أى يصلح للبس .

(٢) القوارس : شدائد البرد ، والهواجر : شدائد الحر . (٣) عاكر : مقبل بظلامه .

أَبْصَـــرْتُ هَيْكَـــلَ عَظْمِـــه   فَذَكَـــــــرْتُ سُـــكَّانَ المَقَابِرْ
فَكَـــــأَنَّمَا هُـــــــوَ مَيِّتٌ   أَحْيَاهُ «عِيـــــسَى» بَعْدَ «عَاذِرْ»
قَدْ كَــــادَ يَهْدِمُــــهُ الـــنَّسِـ   ـــيمُ وَكَـــادَ تَذْرُوهُ الأَعَاصِرْ
وَتَرَاهُ مِـــــــنْ فَرْطِ الْهُزَا   لِ تَكَـــادُ تَثْقُبُهُ المَوَاطِـــرْ
عَجَبَـــــاً أَيُفْرِسُهُ الـطَّـوَى   فِى قَلْبِ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِــرْ ؟
وَتَغُـــولُهُ الْبُؤْسَـــــى وَطَرْ   فُ «رِعَايَـةِ الأَطْفَـالِ» سَـاهِرْ ؟
كَمْ مِثْلِهِ تَحْـــتَ الـــدُّجَى   أَسْـوَانَ بَادِى الــضُّرِّ حَائِـرْ(١)
خَزْيَانَ ، يَخْرُجُ فِـــى الـظَّلاَ   مِ خُـرُوجَ خُفَّــاشِ المَغَــاوِرْ
مُتَلَفِّعَـــا جِلْبَـــابَـــهُ   مُتَرَقِّبَـــــاً مَعْـرُوفَ عَابِرْ
يَقْـــذَى بِرُؤْيَتِـــهِ ، فَـــلاَ   تَـلْوِى عَلَيْـــهِ عَيْـنُ نَاظِـرْ

مطران

لَـــوْ كَـــانَ فَـــذًّا . . إِنَّمَـــا   هُـــوَ عَاثِرٌ مِـــنْ أَلْـــفِ عَاثِرْ
أُنْظُرْ إلى الـيُسْـــــرَى ، وكَمْ   تَدَعُ المَيَامِنُ لِلــــــــــمَيَاسِرْ

---

(١) أسوان : حزين .

هَـــــذِى فَتَـــــاةٌ حَالُهَــــا   أَدْهَــــى وأَفْظَــــرُ لِلْــمَرَائِــرْ
هِىَ بَضْعَةٌ لِشَقِــــــيَّةٍ   زَلاَّءَ مَــا كَــانَتْ بِعَاقِــرْ[1]
فِى مَشْيِــــهَا وَشُحُوبِهَــا   سِيَمَـــــا لِتَرْبِيَةِ الْعَوَاهِــرْ
وارَحَمَـــــتَا لِصِبَاكِ يَا   شِبْهَ الأَمَالِيـــدِ الـنَّوَاضِرْ[2]
أَكَـــذَاكِ يُلْقَى فِـــى نَجَـا   سَـاتِ الْمَوَاطِـئِ بِالأَزَاهِــرْ ؟
فَإِذَا رَخُصْــــنَ ، أَلاَ كَـــرَا   مَةَ لِلصَّغِيـــرَاتِ الـطَّوَاهِرْ ؟
أَتَــرَى تَثَنِّيــــــهَا وَلَفْـ   ـــتَةَ كُــلِّ سَائِــرَةٍ وَسَائِــرْ ؟
هُمْ يُعْـــجَبُونَ بِلُطْــفِ مَا   تُبْدِيـهِ مِـــنْ غَنَجِ الـفَوَاجِرْ[3]
وَكَـــأَنَّهُمْ لاَ يَجْــــزَعُو   نَ لِمِثْلِ هَــذِى فِى الـكَبَائِــرْ
وَكَثِيـــــرُهُمْ مُسْـتَهْزِئٌ   وَقَلِيـــلُهُمْ إِنْ بَرَّ زَاجِــــرْ
لاَ يَشْعُرُونَ بِأَنَّ تِلْـــــــ   ـكَ مِنَ الْفَـوَادِحِ فِى الْخَسَـائِرْ

(١) بضعة : ابنة . الزلاء : التى فسقت .
(٢) الأماليد جمع أملود : وهو الغصن الرطيب .
(٣) غنج : دلال .

قَعَدَتْ شُعُوبُ الـــشَّرْقِ عَنْ   كَسْــبِ المَحَامِــدِ وَالمَفَاخِرْ
فَونَتْ، وَفِى شَرْعِ الــتَّنَا   حُرِ : مَنْ وَنَى لاَشَـكَّ خَاسِرْ
تَمْشِى الــشُّعُوبُ لِقَصْدِهَا   قُدُمــاً وَشَعْبُ النِّيلِ آخِرْ
كَمْ فِى الــكِنَانَةِ مِنْ فَتًى   نَدْبٍ وَكَمْ فِى الــشَّامِ قَادِرْ
لَكِنَّهُم لَــمْ يُرْزَقُــوا   رَأْيــاً وَلَــمْ يَرِدُوا المَخَاطِرْ
هَذَا يَطِيــرُ مَعَ الخَيَــا   لِ ، وَذَاكَ يَرْتَجِــلُ الــنَّوَادِرْ
جَهِلُوا الْحَيَــاة ، وَمَــا الْحَيَا   ةُ لِغَيْرِ كَــدَّاحٍ مُغَــامِرْ
يَجْتَــابُ أَجْــوَازَ الْقِفَــا   رِ وَيَمْتَطِــى مَتْنَ الــزَّوَاخِرْ(١)
لاَ يَسْتَشِيــرُ سِــوَى العَزِيــ   ــمَةِ فِــى المَوَارِدِ وَالمــصَادِرْ
يَرْمِــى وَرَاءَ الْبَاقِيَــا   تِ بِنَفْسِــهِ رَمْىَ المُقَــامِرْ
مَا هَــدَّ عَــزْمَ الْقَادِرِيـــ   ــنَ «مِصْــرَ» إلاَّ قَوْلُ «بَـاكِرْ»
كَمْ ذَا نُحِيــلُ عَلَــى غَــدٍ   وَغَدٌ مَصِيــرَ الـيَوْمِ صَائِـرْ

---

(١) يجتاب : يسلك . أجواز القفار : بطون الصحارى . الزواخر : البحار .

خَوَت الـــدِّيَارُ ، فَـــلاَ اخْتِرَا ع وَلا اقْتِصَــادَ وَلا ذَخَائـــرْ
دعْ مَــا يُجَشِّمُهَــا الْجُمُــو دُ وَمَا يَجُـــرُّ مِنَ الْجَرَائـــرْ[1]
فِي الاقْتِصَــادِ حَيَاتُنَــا وَبَقَاؤُنَــا رَغْمَ الْمُكَــابِرْ
تَرْبُو بِهِ فِيــنَا الْمَصَــا نِعُ وَالْمَــزَارِعُ وَالْمَتَاجِــرْ

مطران

يَامَـــنْ شكَا حَــالاً نُعَــا نِي مِنْ عَوَاقِبِهَــا الْمَخَاطِــرْ
لاَ وَالَّـــذِى وَلاَّكَ نَــا صِيَــةَ الــبَيَانِ بِــلاَ مُكَابِرْ
لَمْ تَعْدُ مَا فــى الــنَّفْسِ مِنْ شَتَّى الْهَوَاجِسِ وَالْخَوَاطِــرِ
أُضْحِى كَمَــا أُمْسِى وَبِى شُغُلٌ مُغَــادٍ أَوْ مُسَــاهِرْ
يَا لَيْتَهُ الْهَمُّ الَّـــذِى يَفْدِيــهِ بِالـــرُّوحِ الْمُخَاطِرْ
لَكِنَّهُ هَـــمٌّ بِمَــا يُرْدِى الأَبِــىَّ مِنَ الـصَّغَائـرْ
قَدْ تَقْتُلُ الْحَشَرَاتُ مَــنْ هَانَــتْ عَلَيْهِ ، فَــلاَ يُحَـاذِرْ

(١) الجرائر : جمع جريرة ، وهى الذنوب والآثام .

وَيَعِيـــشُ مَنْ رَامَ الْمَنــــيـــــــ ـــعَةَ دُونَهَا أَجَمُ الــــقَسَاوِرْ[1]
دَعْنَـــــا نُفَـــرِّجْ مَا بِنَــــا شَيْئــــــــاً بِمُخْتَلِفِ الْمَنَاظِرْ
يســــــــرْ بِى إِلى الـدَّارِ الَّتِى شِيــــــدَتْ عَلَى كَرَمِ الـعَنَاصِرْ
حَيْثُ الْمُرُوءَةُ بِالْفَقِيــــــــــــــ ـــــــرِ أَبَرُّ مِنْ أَدْنَى الأَوَاصِرْ
نَدْفَــعْ إِلَيـــــــــهَا ذَيْـنِـكَ الـــطِّفْلَيْنِ وَالـلّهُ الْمُـــؤَازِرْ
مَنْ لِـــى وَمَـــنْ لَكَ يَا أَخِـــى بِخَزَائِـــنِ الـــذَّهَبِ الـعَوَامِرْ
نَأْسُـــو بِهِـــنَّ خَلاَئِقــــــــاً دَارَتْ عَلَيْهِــــنَّ الـدوَائِـــر
وَنَشـــــــيِدُ مَاشَـاءَ السَّخَا ءُ مِنَ الْمَعَاهِـــدِ وَالْمـــنَائِـــر
وَنَقُولُ : يَادَهْـــرُ احْتكِـــمْ مَا أَنْتَ بَعْدَ الْيَـــوْمِ جَائِـــر



أَسُرَاةَ «مِصْرَ» وَقَادَةَ الأَلْبـــــــ ـــابِ فِيـــــهَا وَالضَّمـــائِرْ :
رُدُّوا عَلَيْهَـــــــا صِبْيَـــــــةً لَعِـــبَ الْفَسَــادُ بِهِـــمْ يُقَامِرْ

(١) المنيعة أى الخطة الصعبة والأمر الجلل . الأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف يتخذها الأسد عريناً له . القساور : الأسود .

أَلْقَــى بِهِـــمْ فِى مَطْــرَحِ الأَ زْلاَمَ سِكِّيـــــــــرٌ وَفَاجِــرْ[1]

أَوْ فُرِّقُــوا سِلَعـــــــــاً وَفَرَّ قَهُمْ مِـــنَ الْفُسَّـــاقِ تَاجِـــرْ

مَا يُصْبِـــــحُونَ غَـداً ؟ وَكَيــ ـفَ مَصِيـــرُهُمْ بَيْنَ المَصَايِرْ ؟

مِـــنْ هَــؤُلاءِ ، أَيَرتَجِــى خَيْراً «لِمِصْرَ» أُولُــو الْبَصَائـر ؟

هُــمْ فِـــى جَمَاعَتِكُمْ صُــدُو عٌ فَاجْبُرُواْ ، والله جَـــابِـــرْ

---

(١) الأزلام : جمع زلم ، وهو السهم لا ريش له ، وكان العرب يتخذونها للّعب المسمى بالميسر . والمراد بمطرح الأزلام موطن المراهنات .

٢٩ الطباق البديـــع

شَعَرَاتٌ ضَحِكْنَ فِى فُودِكِ الأَسْـ ـــوَدِ . هَذِى نِهَايَةٌ فِى الـدَّلاَلْ
وَالــطِّبَاقُ الْبَدِيــعُ أَلْطَفُ شَىْءٍ تَتَجَلَّى بِــهِ مَعَـانِــى الْجَمَــالْ

٣٠ الصبابة السكرى

أَبَتِ الـــــــــصَّبَابَةُ مَوْرِداً إِلاَّ شُؤُونَكَ وَهِيَ شَكْرَى
يَاسَاقِيَ الـــــــدَّمْعِ الَّذِي مِنْ مُقْلَتَيْهِ يَسِيـــــــلُ خَمْرَا
لاَ غَرْوَ أَنْ بَدَتِ الـــــــصَّبَا بَةُ وَهْيَ فِي عَيْنَيْكَ سَكْرَى

٣١ ليلة سهاد

قيلت فى أيّم حزينة ، ترقب النجوم وتناجيها بثّها[1]

طَالَ لَيْلــِي وَالـــثُّرَيَّا فِي سُهَادِ   وكِلانَا فِى ظَلاَمٍ وَحِدَادِ
إِيـــهِ يَا أُخْتِىَ فِى الْوَحْشَةِ هَلْ   لكَ إِلْفٌ مِثْلَ مَنْ أَبْكِيهِ مَاتْ ؟
فَتَنَاثَرْتِ وَلَـــــمْ يُبْقِ الأَسَى   مِنْكِ إلاَّ دَمَعَاتٍ ذَاكِيَاتْ
كُنْتُ لاَ أَعْلَمُ والإِلْفُ مَعِى   غَيْرَ أَنِّى فِى سُرُورٍ وَنَعِيـــــمْ
كُنْتُ إن أَنْظَرْكِ فى جُنْحِ دُجى   لا أرى فيكِ سِوى درٍ وسيم
لَمْ أَخَلْ أَنَّ الـــسَّمَوَاتِ الْعُلَى   مُصْحَفٌ يُنْذِرُنَا بِالحَسَرَاتْ
لَمْ أخَلْ أَنَّ لِبُؤسِى آيَةً   نُقِّطَتْ مِنْكِ بِتِلْكَ الْعَبَرَاتْ
ذَاكَ مَا عَلَّمَنِى بَعْدَ الـــغُرُورْ   حُزْنُ قَلْبِـــى وَالأَسَى نَارٌ ونُورْ

---

(١) أيّم : المرأة التى مات عنها زوجها .

أَخْبِرِينِى أَكَمَا شَبَّهَ لِى ... مِنْ دَلاَلاَتِ النُّجُومِ السَّافِرَهْ
ذَلِكَ الكَوْنُ ، وكَمْ مِنْ عَجَبٍ ... فِيهِ يَبْدُو لِلْعُيُونِ السَّاهِرَهْ ؟
أهو الوَادِى الزُّجَاجِىُّ الَّذِى ... صَحَّ فِيهِ أَنَّهُ وَادِى الدُّمُوعِ ؟
كُلَّمَا اهْتَاجَ الأَسَى ظُلْمَتَهُ ... نَضَحَتْ زُهْراً نَدِيَّاتِ السُّطُوعْ
عَبَرَاتٌ أُرْسِلَتْ حَائِرَةً ... مَا لِمَجْرَاهَا عَلَى الدَّهْرِ مَدَى
يَتَجَاوَرْنَ ومَا مِنْ مُلْتَقَى ... يَتَجَارَيْنَ فُرَادَى أَبَدَا
أَرْشِدِينِى إنْ تَرَيْنِى واهِمَهْ ... وأَنِيرِينِى فَإِنِّى هَائِمَهْ
أَمْ لَعَلَّ الزُّهْرَ لِلْخُلْدِ كُوًى ... وعُيُونٌ لِقُلُوبِ المُتَّقِينْ
مَنْ رَنَا مِنْهَا إلَى مَا بَعْدَهَا ... فَهُنَاكَ الْحَقُّ والعِلْمُ اليَقِينْ
يَا إِلَهِى إنَّنِى جَاثِيَةٌ ... لَكَ فِى حُزْنٍ وَذُلٍ وَخُشُوعْ
يَا إِلَهِى إنَّنِى غَاسِلَةٌ ... قَدَمَ السَّعْدِ المُوَلِّى بِالدُّمُوعْ
أَيُّهَا المَوْلَى الَّذِى جَرَّعَنِى ... هَذِهِ الْغُصَّةَ مِنْ بَعْدِ الصَّفَاءْ
وبِمَا مَتَّعَنِى عَاقَبَنِى ... وَإِلَيْهِ حَمْدُ مَا سَرَّ وَسَاءْ
بِالْجِرَاحَاتِ الَّتِى تَشْفَعُ لِى ... وَبِحِرْمَانِىَ أَقْصَى أَمَلِى

أُنْضُ سِتْرَ الْغَيْبِ عَنِّى وَأَجِزْ   لِضَمِيــرى نَظْرَةً فَوْقَ السَّدِيمْ[1]
لأَرَى وَجْهَ حَبِيـــبى مُشْرِقـــاً   وَأَرَاهُ مُسْتَـــــقِرًا فِى النَّعِيـمْ

(١) السديم : شبه الضباب .

٣٢ وردة بيضــاء

نبتت فى مسفك دماء

عَجَبٌ يَا ابْنَةَ الــــرِّيَاضْ مِنْــكِ هَــذَا الـــتَّبَسُّمُ
وتَرَائِيــــكِ بِالْبَيَاض حَيْثُمَـــا وِرْدُكِ الــدَّمُ
كَيْفَ آثَرْتِ يَا عَـــرُوسْ سَــاحَةَ الْحَــرْبِ وَالْحَرَبْ(١)
لِلــتَّجَلِّى عَلَــى رُؤُوسْ وَالْمُبَاهَــاةِ فِــى خَــرِبْ
أَتَبَيَّنْــتِ فِى الـــثَّرَى سُــوءَ مَا دَبَّـجَ النَّجِـــيعْ(٢)
أَنْكَرُ الْفَـــنِّ أَنْ تُرَى زِيــنَةُ الْمَــوْتِ فِى الْبَدِيـــعْ
أَتَبَيَّنْتِ فِــى الـعَقِـــيقْ حُمْرَةً شَـــابَهَا اخْضِرَارْ(٣)

---

(١) الحرب : الويل .

(٢) النجيع : الدم إذا كان مائلاً إلى السواد .

(٣) العقيق : المَسِيل .

شِـــبْهَ ذَوْبٍ مِـنَ الْعَقَـــــيـقْ   لاَحَ فِيــــــهِ انْطِفَــاءُ نَارْ[1]
أَتَبَيَّنْــــــتِ لِلْحَجَـــــــرْ   عَارِضـــــاً كَالِحَ الـسُّطُوعْ[2]
فِيــــــهِ مَا يُؤلِـمُ الـنَّظَـرْ   مِـــنْ جِــرَاحٍ وَمِـــنْ دُمُوعْ



فَرَنَـــــتْ غَيْرَ غَاضِبَــــــهْ   تَتَهَـــــادَى بِــــــلاَ أَسَفْ
وأَجَابَـــــــتْ مُدَاعِبَـــــــهْ   لاَ تَلُمْنِــى .... أَنَا الـشَّرَفْ

---

(١) العقيق : الخرز الأحمر .

(٢) العارض : الجانب .

٣٢ تحية لشوقى

وقد عاد من منفاه بالأندلس

تِلْـــكَ الـــدُّجُنَّةُ آذَنَتْ بِجَلاَءِ ... وَبَدَا الصَّبَاحُ فَحَيِّ وَجْهَ ذُكَاءِ[١]

أَلـــعَدلُ يَجْلُـــوهَا مُقِلاً عَرشَهَا ... وَالـظُّـلْـمُ يَعثُرُ عَثْرَةَ الـظَّلْمَاءِ[٢]

يَا أَيُّهَـــا اليَومُ الـعَظِيمُ تَحِيَّةً ... فُكَّ الأَسَارَى بَعْـــدَ طُولِ عَنَاءِ

أَوْشَكْتُ فِيكَ وَقَد نَسِيتُ شَكِيَّتِى ... أَنْ أُوسِعَ الأَيَّامَ طِيـــبَ ثَنَاءِ

حَسْبِى اعْـــتِذَارُكَ عَن مَسَاءَةِ مَامَضَى ... بِمَبَرَّةٍ مَوْفُورَةِ الآلاَءِ[٣]

أَلشَّمسُ يَزْدَادُ ائْتِلافـــاً نُورُهَا ... بَعْـــدَ اعْتِكَارِ اللَّيْـلَةِ اللَّيْلاَءِ[٤]

---

(١) الدجنة : الظلمة . ذكاء : من أسماء الشمس .

(٢) مقلا : حاملاً .

(٣) الآلاء ، جمع إلى : وهو النعمة .

(٤) اعتكار الليل : اشتداد ظلمته .

وَيُضَاعِفُ الـــــسَّرَّاءَ فِي إِقْبَالِهَا   تَذْكَارُ مَا وَلَّى مِنَ الـــــضَّرَّاءِ
لاَ كَانَتِ الحِجَجُ الَّتـــي كَابَدْتُهَا   من بَدءِ تلكَ الـغَارَةِ الشَّعْوَاءِ(١)
أَلحُزْنُ حَيثُ أَبِيتُ مِلءُ جَوَانحي   وَالـنَّارُ مِلءُ جَوانِبِ الــغَبْرَاءِ(٢)
دَامِي الْحُشَاشَةِ لَمْ أَخَلْنِي صَابِراً   بَعْدَ الــــفِرَاقِ فَظَافِراً بِلِقَاءِ(٣)
مُنْهَدُّ أَرْكَانِ الــــعَزِيمَةِ لَمْ أَكَدْ   يَأْســــــاً أُمَنِّي مُهْجَتِي بِشِفَاءِ
حِجَجٌ بَلَوْتُ المَوْتَ حِينَ بَلَوْتُهَا   مُتَعَرِّضـــاً لِي فِي صُنُوفِ شَقَاءِ
لَكِنَّهَا وَالْحَمْدُ لله انْقَضَتْ   وَتَكَشَّفَتْ كَتَكَشُّفِ الـــــغَمَّاءِ
وَغَدَا «الْخَلِيلُ» مُهَنَّئـــاً وَمُهَنَّأً   بَعْدَ الأَسَى وَتَعَذُّرِ الـــتَّأْسَاءِ(٤)
جَذْلاَنَ كَالطِّفْلِ السَّعِيـدِ بِعِيـدِهِ   مُسْتَرْسِلاً فِـي الـلَّفْظِ وَالإِيمَاءِ
يَقْضِي وَذَلِكَ نَذْرُهُ فِي يَوْمِهِ   حَاجَاتِ سَائِلِهِ بِلاَ إِبْطَاءِ
مَا كَانَ أَجْوَدَهُ عَلَى بُشْرَائِهِ   بِشْرَائِهِ لَوْ كَانَ رَبَّ ثَرَاءِ
عَادَ الْحَبِيـــبُ الْمُفْتَدَى مِنْ غُرْبَةٍ   أَعْلَتْ مَكَانَتَهُ عَنِ الْجـــــوْزَاءِ

---

(١) الحجج ، جمع حجة : وهي السنة .

(٢) الغبراء : الأرض .

(٣) الحشاشة : بقية الروح .

(٤) التأساء : التعزي .

إنَّ الأَديـــبَ وَقَدْ سَمَا بِبَلائِهِ ... غَيْرُ الاديـبِ ولَيْسَ رَبٌّ بَلاَءِ[1]

فِى «بَرْشَلُونَةَ» نَازِحٌ عَنْ قَوْمِهِ ... وَدِيَارِهِ وَالأَهْلِ وَالْقُرَبَاءِ

نَاءٍ ولَوْ أَغنَتْ مِنَ الْمُقَلِ الـنُّهَى ... مَا كَانَ عَنْهُمُ لَحْظَةً بِالـنَّائـى

بِالأمسِ فِيـهِ العَيْنُ تَحـسُدُ قَلْبَهَا ... وَالـيَومَ يَلْـتَقِيَانِ فِى نَعْمَاءِ



أَهلاً بِنَابِغَةِ الـبِلاَدِ ومَرحَبـاً ... بِالـعَبْقَرِىِّ الـفَاقِدِ الـنُّظَرَاءِ

«شَوقِى» أَمِيـر بِيَانِهَا «شَوقِى» فـتَى ... فِتـيَانِهَا فِى الوَقْفَةِ الـنَّكْرَاءِ

«شـوقى» وَهَل بَعـدَ اسـمِهِ شَرَفٌ إِذَا ... شَرُفَتْ رِجَالُ الـنُّبْلِ بـالأَسْمَاءِ

وَافَى وَمَنْ لِلـفَاتِحـينَ بِمِـثْلِ مَا ... لاَقَى مِنَ الإعْظَامِ وَالإِعْلاَءِ

«مِصرٌ» تُحَيِّيهِ بِدَمـعٍ دَافِقٍ ... فَرَحـاً وأَحْدَاقٍ إِلَيـهِ ظِمَاءِ

«مِصرٌ» تُحيِّيـهِ بِقَلبٍ وَاحِدٍ ... مُوفٍ هَوَاهُ بِهِ عَلَى الأَهْوَاءِ

جَذْلَى بِعَوْدِ ذَكِيِّهَا وَسَرِيِّهَا ... جَذْلَى بِعَوْدِ كَمِيِّهَا الأَبَّاءِ[2]

حَامِى حَقِيـقَتِهَا وَمُعْلِى صَوتِهَا ... أَيَّامَ كَانَ الـصَّوتُ لِلأَعْدَاءِ

---

(١) البلاء : الاختبار .

(٢) الكمى : الشجاع المسلح . الأباء : الشديد الامتناع والترفع عن الدنايا .

المُنْشِئُ اللَّبِقِ الحَفِيلِ نَظِيمُهُ ... وَنَثِيرُهُ بِرَوَائِعِ الأَبْدَاءِ[1]
أَلْبَالِغِ الخَطَرَ الَّذِى لَم يَعْلُهُ ... خَطَرٌ بِلاَ زَهْوٍ وَلاَ خُيَلاَءِ
أَلصَّادِقِ السَّمْحِ السَّرِيرَةِ حَيْثُ لاَ ... تَغْدُو لِلرِّيَاءَ مَظَاهِرُ السُّمَحَاءِ
أَلرَّاحِمِ المِسْكِينَ وَالمَلْهُوفَ وَالْمَـ ... ـظْلُومَ حِينَ تَعَذُّرِ الرُّحَمَاءْ
عِلْماً بِأَنَّ الأَقْوِيَاءِ لِيَوْمِهِمْ ... هُمْ فِى غَدَاةِ غَدٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ
أَلطَّيِّبِ النَّفْسِ الكَرِيمِ بِمَالِهِ ... فِى ضِنَّةٍ مِنْ أَنْفُسِ الكُرَمَاءِ[2]
أَلكَاظِمِ الغَيْظَ الْغَفُورَ تَفَضُّلاً ... وَتَطَوُّلاً لِجَهَالَةِ الْجُهَلاَءِ[3]
جِدِّ الْوَفِىِّ لِصَحْبِهِ وَلأَهْلِهِ ... وَلِقَوْمِهِ إِنْ عَزَّ جِدُّ وَفَاءِ
أَلمُفْتَدِى الْوَطَنَ الْعَزِيزَ بِرُوحِهِ ... هَلْ يَرْتَقِى وَطَنٌ بِغَيْرِ فِدَاءِ ؟
مُتَصَدِّياً لِلْقُدْوَةِ الْمُثْلَى وَمَا ... زَالَ السَّرَاةُ مَنَائِرَ الدَّهْنَاءِ[4]



هَذِى ضُرُوبٌ مِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِى ... رَفَعَتْهُ فَوْقَ مَنَازِلِ الأُمَرَاءِ

---

(١) الأبداء ، جمع بدئ : وهو البديع غير المسبوق إليه .

(٢) الضنة : البخل .

(٣) الجهالة : الحمق والجفاء والغلظة .

(٤) الدهناء : الصحراء .

جَمعَتْ حوَالَيْهِ القلوب وأَطْلَقَتْ بَعْدَ اعتِقَالِ أَلْسُنَ الفُصَحَاءِ
مَا كَانَ لِلإِطـراءِ ذِكْرَى بَعْضَهَا وَهْيَ الَّتِـي تَسْمُو عَنِ الإِطْرَاءِ
قُلْتُ اليَسيرَ مِنَ الـكَثِيرِ ولَم أَزِدْ شيئاً وكَمْ فِى النَّفسِ مِنْ أَشْيَاءِ
أَرْعى اتِّضَاعَ أَخِى فَأُوجزُ والَّذِى يُرْضِى تواضعـه يَسُوءُ إِخَائى



إِنَّ الـبِلاَدَ «أَبـا عَلِىٍّ» كَابَدتْ وَجْداً عَلَيـكَ حَرَارَةَ البُرَحَاءِ[1]
وَزَكَا إِلى مَحــبُوبِهَا تَحْنَانُهَا بِتَبَغُّضِ الأَحْدَاثِ وَالأَرْزَاءِ
لاَ بِدْعَ فِى إِبـدَائِـهَا لَكَ حُبَّهَا بِنِهَايَةِ الإِبـدَاعِ فِى الإِبْداءِ
فَالمُنـجِبَاتُ مِنَ الـدِّيَارِ بِطَبْعِهَا أَحْنَى عَلَى أَبْنَائِـهَا الـعُظَمَاءِ
أَلقُطْرُ مُهـتَزٌّ الجَوَانِبِ غِبْطَةً فِيـمَا دَنَا وَنَأَى مِنَ الأَرْجَاءِ
رَوِىَ الـعِطَاشُ إِلـى الـلِّقَاءِ وأَصبَحُوا بَعـدَ الْجَوَى فِى بَهْجَةٍ وصَفَاءِ
وَبِجَانِبِ «الـفُسْطَاطِ» حَىٌّ مُوحِشٌ هُوَ مَوْطِنُ المَوْتَى مِنَ الأَحْيَاءِ
فِيـهِ فُؤَادٌ لَم يَقَرَّ عَلَى الرَّدَى لأَبَرَّ أُمٍ عُوجِلَتْ بِـقَضَاءِ
لاَحَ الرَّجَاءُ لـهَا بِأَنْ تَلقَى ابـنَهَا وَقَضَتْ فجـاءَ اليَأْسُ حِينَ رَجَاءِ

(١) البرحاء : شدة الأذى .

أَوْدَى بِهَا فَرْطُ السَّعَادَةِ عِنْدَمَا ... شَامَتْ لِطَلْعَتِهِ بَشِيرَ ضِيَاءِ
لَكِنَّمَا عَوْدُ الْحَبِيبِ وَعِيدُهُ ... رَدَّا إِلَيْهَا الْحِسَّ مِنْ إِغْفَاءِ
فَفُؤَادُهَا يَقِظٌ لَهُ فَرَحٌ بِهِ ... وَبِفَرْقَدَيْهِ مِنْ أَبَرِّ سَمَاءِ[1]
يَرْعَى خُطَى حُفَدَائِهَا وَيُعِيذُهُمْ ... فِي كُلِّ نُقْلَةِ خُطْوَةٍ بِدُعَاءِ
فِي رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ قَرِّي وَاشْهَدِي ... تَمْجِيدَ «أَحْمَدَ» فَهْوَ خَيْرُ عَزَاءِ



«مِصْرٌ» «بِشَوْقِي» قَدْ أَقَرَّ مَكَانُهَا ... فِي الذُّرْوَةِ الأَدَبِيَّةِ الْعَصْمَاءِ
هُوَ أَوْحَدُ الشَّرْقَيْنِ مِنْ مُتَقَارِبٍ ... مُتَكَلِّمٍ بِالضَّادِ أَوْ مُتَنَائِي
مَا زَالَ خَلَّاقاً لِكُلِّ خَرِيدَةٍ ... تُصْبِي الحَلِيمَ بِرَوْعَةٍ وَبَهَاءِ[2]
كَالْبَحْرِ يُهْدِي كُلَّ يَوْمٍ دُرَّةً ... أَزْهَى سَنًى مِنْ أُخْتِهَا الْحَسْنَاءِ
قُلْ لِلْمُشَبِّهِ إِنْ يُشَبِّهْ «أَحْمَداً» ... يَوْماً بِمَعْدُودٍ مِنَ الأُدَبَاءِ
مَنْ جَالَ مِنْ أَهْلِ الْيَرَاعِ مَجَالَهُ ... فِي كُلِّ مِضْمَارٍ مِنَ الإِنْشَاءِ ؟

---

(١) الفرقدان : نجمان ، والمراد بهما : ولدا «شوقى» .

(٢) الخريدة : اللؤلؤة ، تشبه بها جياد القصائد . تـصبى الحليم : تستهويه وتشوقه فيخف لها حلمه ووقاره .

مَنْ صَالَ فِي فَلَكِ الخَيَالِ مَصَالَهُ فَأَتَى بِكُلِّ سَبِيَّةٍ عَذْرَاءِ ؟

أَصَحِبْتَهُ وَالنَّجْمُ نُصْبَ عُيُونِهِ وَالشَّأْوُ أَوْجُ القُبَّةِ الزَّرْقَاءِ ؟

إِذْ بَاتَ يَستوحِي فَأَوْغَلَ صَاعِداً حَتَّى أَلَمَّ بِمَصْدَرِ الإِيحَاءِ

أَقَرَأْتَ فِي الطَّيَرَانِ آيَاتٍ لَهُ يَجْدُرْنَ بِالتَّرتِيلِ وَالإِقْرَاءِ ؟

فَرَأَيْتَ أَبدعَ مَا يُرى مِنْ مَنْظَرٍ عَالٍ وَلَم تَرْكَبْ مَطِيَّ هَوَاءِ

وَشَهِدتَ إِفشاءَ الطَّبِيعَةِ سِرَّهَا لِلعَقْلِ بَعدَ الضَّنِّ بِالإِفشَاءِ

أَشَفَيتَ قَلْبَكَ مِن مَحَاسِنِ فَنِّهِ فِي شُكْرِ مَا لِلنِّيلِ مِنْ آلاَءِ ؟

يَا حُسْنَهُ شُكراً من ابن مُخلِصٍ لأَبٍ هُوَ المَفْدِيُّ بِالآبَاءِ

أَغْلَى عَلَى مَاءِ اللآلِئِ صَافِياً مَا فَاضَ ثَمَّةَ مِنْ مَشُوبِ المَاءِ(١)

أَتَهَادَت «الأَهرَامُ» وَهْيَ طَرُوبَةٌ لِمَدِيحِهِ تَهتَزُّ كَالأَفْيَاءِ ؟

فَعَذَرْتُ خِفَّتَهَا لِشِعْرٍ زَادَهَا بِجَمَالِهِ البَاقِي جَمَالَ بَقَاءِ

أَنَظَرْتَ كَيْفَ حَبَا الهَيَاكِلَ وَالدُّمَى بِحُلًى تُقَلِّدُهَا لِغَيْرِ فَنَاءِ ؟

فَكَأَنَّهَا بُعِثَتْ بِهِ أَرْوَاحُهَا وَنَجَتْ بِقُوَّتِهِ مِنَ الإِقْوَاءِ(٢)

---

(١) أى جعل ما يفيض من ماء النيل أغلى من اللؤلؤ .

(٢) الإقواء : الإقفار وخلو المكان من السكان .

أَتَمَثَّلَتْ لَكَ «مصْرُ» فِى تَصْوِيرِهِ بِضِفَافِهَا وَجِنَانِهَا الْفَيْحَاءِ ؟
وَبَدَا لِوَهْمِكَ مِنْ حُلِىٍّ نَبَاتِهَا أَثَرٌ بِوَشْيِ بَيَانِهِ مُتَرَائِــــى
أَسَمِعْتَ شَدْوَ الْبُلْبُلِ الصَّدَّاحِ فِى أَيْكَاتِهَا وَمَنَاحَةَ الْوَرْقَاءِ ؟
فَعَجِبْتَ أَنَّى صَاغَ مِنْ تِلْكَ اللُّغَى كَلِمَاتِ إِنْشَادٍ وَلَفْظَ غِنَاءِ
لله يَا «شَوْقِى» بَدَائِعُكَ الَّتِــــى لَوْ عُدِّدَتْ أَرْبَتْ عَلَى الإِحْصَاءِ
مَنْ قَالَ قَبْلَكَ فِي رِثَاءِ نَفْسُهُ يَجْرِى دَمــاً مَا قُلْتَ فِى «الْحَمْرَاءِ»؟(١)
فِى أَرْضِ «أُنْدُلُسٍ» وَفِى تَارِيخِهَا وَغَرِيــبِ مَا تُوحِى إِلى الـغُرَبَاءِ
جَارَيْتَ نَفْسَكَ مُبْدِعاً فِيــهَا وَفِى آثَارِ «مِصْرَ» فَظَلْتَ أَوْصَفَ رَائِى
وَبَلَغْتَ شَأْوَ «الْبُحْتُرِىِّ» فَصَاحَةً وَشَأَوْتَهُ مَعْنَــــىً وَجَزْلَ أَدَاءِ
بَلْ كُنْتَ أَبْلَغَ إِذْ تُعَارِضُ وَصْفَهُ وَتَفُوقُ بِالتَّمْثِــــيلِ وَالإِحْيَاءِ
يَا عِبْرَةَ الــدُّنْيَا كَفَانَا مَا مَضَى مِنْ شَأْنِ «أُنْدُلُسٍ» مَدًى لِبُكَــاءِ
مَا كَانَ ذَنْبُ الْعُرْبِ؟ مَا فَعَــلُوا بِهَا؟ حَتَّى جَلَوْا عَنْهَا أَمَرَّ جَلاءِ
خَرَجُوا وَهُمْ خُرْسُ الْخُطَى، أَكْبَادُهُمْ حَرَّى عَلَى «غَرْنَاطَةَ» الْغَنَّاءِ
أَلْفُلْكُ وَهْىَ الْعَرْشُ أَمْسِ لِمَجْدِهِمْ حَمَلَتْ جَنَازَتَهُ عَلَى الــدَّأْمَاءِ(٢)

---

(١) نفسه : مداده . الحمراء : اسم حصن فى غرناطة بنى فيه قصر رائع .

(٢) الفلك : السفن . الدأماء : البحر .

أَوْجَزْتَ حِينَ بَلَغْتَ ذِكْرَى غِبِّهِمْ ... إِيـــــجَازَ لاَ عِيٍّ وَلاَ إِعْيَاءِ[1]
بَعْضُ السُّكُوتِ يَفُوقُ كُلَّ بَلاغَةٍ ... فِى أَنْفُسِ الــفَهِمِينَ وَالأُرَبَاءِ[2]
ومِنَ التَّنَاهِى فِى الْفَصَاحَةِ تَرْكُهَا ... وَالْوَقْتُ وَقْتُ الخُطْبَةِ الْخَرْسَاءِ
قَدْ سُقْتَهَا لِلشَّرْقِ دَرْســاً حَافِلاً ... بِمَوَاعِظِ الأَمْوَاتِ لِلأَحْيَاءِ
هَلْ تُصْلِحُ الأَقْوَامَ إِلاَّ مُثْلَةٌ ... فَدَحَتْ كَتِلْكَ الْمُثْلَةِ الشَّنْعَاءِ ؟[3]



يَا بُلْبُلَ الْبَلَدِ الأَمِينِ وَمُؤْنِسَ الْـ ... ـلَيْلِ الْحَزِيــنِ بِمُطْرِبِ الأَصْدَاءِ
غَبَرَتْ وَقَائِعُ لَم تــكُنْ مُسْتَنْشَداً ... فِيــهَا وَلاَ اسْمُكَ مَالِئُ الأَنْبَاءِ
لَكِنْ بِوَحْيِكَ فَاهَ كُلُّ مُفَوَّهٍ ... وَبِرَأْيِكَ اسْتَهْدَى أُولُو الآرَاءِ[4]
هِىَ أُمَّةٌ أَلْقَيتَ فِى تَوحِيــدِهَا ... أُسًّا فَقَامَ عَلَيــــهِ خَيْرُ بِنَاءِ
وَبَذَرْتَ فِى أَخلاَقِهَا وَخِلاَلِهَا ... أَزْكَى الْبُذُورِ فـــآذَنَتْ بِنَمَـــاءِ
أَمَّا الرِّفَاقُ فَمَا عَهِدْتَ وَلاَؤُهُمْ ... بَل زَادَهُمْ مَا سَادَ حُســنَ وَلاَءِ

(١) الغب : عاقبة الشئ .

(٢) الأرباء ، جمع أريب : وهو العاقل المتبصر .

(٣) المثلة : العقوبة والتنكيل .

(٤) المفوه : البليغ الكلام .

وَشَبَابُ «مِصْرَ» يَرَوْنَ مِنكَ لَهُمْ أَباً ... وَيُرُونَ مِنكَ بِمَنْزِلِ الأَبْنَاءِ
مِن قَوْلِكَ الحُرِّ الجَرِئِ تَعَلَّمُوا ... نَبَرَاتِ تِلْكَ العِزَّةِ القَعْسَاءِ
لاَ فَضلَ إلاَّ فَضلُهُم فِيمَا انتَهَى ... أَمرُ البِلاَدِ إِلَيْهِ بَعْدَ عَنَاءِ
كَانُوا هُمُو الأَشيَاخَ وَالفِتيانَ وَالـ ... ـقُوَّادَ وَالأَجْنَادَ فِى البَأْسَاءِ
لَم يَثْنِهِم يَومَ الذِّيَادِ عَنِ الحِمَى ... ضَنٌّ بِأَمْوالٍ ولاَ بِدِمَاءِ
أَبْطَالُ تَفْدِيَةٍ لَقُوا جُهْدَ الأَذَى ... فِى الحَقِّ وَامْتَنَعُوا مِنَ الإِيذَاءِ
سَلِمَتْ مَشِيئَتُهم وَمَافِيهِمْ سِوَى ... مُتَقَطِّعِى الأَوْصَالِ وَالأَعْضَاءِ
إِنَّ العَقِيدَةَ شِيمَةٌ عُلْوِيَّةٌ ... تَصفُو عَلَى الأَكْدَارِ وَالأَقْذَاءِ(١)
تَجْنِى مَفَاخِرَ مِن إِهَانَاتِ العِدَى ... وَتُصِيبُ إِعْزَازاً مِنَ الإِزْرَاءِ(٢)
بِكْرٌ بِأَوجِ الحُسْنِ أَغلَى مَهْرَهَا ... شَرَفٌ فَلَيسَ غَلاَؤُهُ بِغَلاَءِ
أَيُضَنُّ عَنهَا بِالنَّفِيسِ وَدُونَهَا ... يَهَبُ الحُمَاةُ نُفُوسَهَمْ بِسَخَاءِ ؟



تِلكَ القَوَافِى الشَّارِدَاتُ وَهَذِهِ ... آثَارُهَا فِى أَنفُسِ القُرَّاءِ

(١) الأقذاء : الشوائب .

(٢) الإزراء : العيب والتنقص .

«شَوقِى» إِخَالُكَ لَم تَقُلْهَا لاَهياً بالـنَّظمِ أَو مُتَبَاهِيـــاً بـذَكَاءِ
حُبُّ الحِمَى أَملَى عَلَيكَ ضُرُوبَهَا مـتَأَنِّقــاً مَا شَاءَ فِى الإِمْلاءِ
أَعْظِمْ بِآيـاتِ الهَوَى إِذْ يَرتـقـى مُتَجـــرِّداً كَالجَوهَرِ الـوضَّاءِ
فَيُطَهِّرُ الـــوِجْدَانَ من أَدرَانِه ويَزِيـنُهُ بِسَوَاطِعِ الأَضـــوَاءِ
ويُعِيـدُ وَجْهَ الغَيْبِ غَيْرَ مُحَجَّبٍ ويَرُدُّ خَافِيـــةَ بِغَيــرِ خَفَاءِ
أَرسلتَهـا كَلِمـاً بَعيــدَاتِ المَدَى تَرْمِى مَرَامــيهَا بِلاَ إِخْطَاءِ
بَينَا بَدَتْ وَهْىَ الرُّجُومُ إِذ اغتَدَتْ وَهْىَ الـــنُّجُومُ خَوَالِدَ الَّلأْلاَءِ
مَلأَتْ قُلُوبَ الهـــائِبِينَ شَجَاعَةً وَهَدَتْ بِصـائرَ خَابِطِى العَشْوَاءِ



مِنْ ذلكَ الرُّوحِ الكَبِيــرِ وَمَا بِهِ يَزدَانُ نَظْمُكَ من سَنًى وَسَنَاءِ
أَعْدِدْ لِقَومِكَ وَالزَّمَانُ مُهَـــادِنٌ مَا يَرتَقُونَ بِهِ ذرَى الــعَلْـــيَاءِ
أَليَومَ يَوْمُكَ إِنَّ «مِصرَ» تَقَدَّمَتْ لِمَآلِهَـــا بِكَرامَـــةٍ وَإِبَـــاءِ

٣٤ حكاية وردة

كتبها الشـاعر فى طرس جعله كفناً لوردة ذبلت عنده ، وهى هدية من آنسـة .. ووضع تلك البقـية من الوردة فى وعـاء من أوعيـة الزينة البيـتيـة ، مورق ، مزهر ، هو أشـبه بالمهد مـنه باللحد .

هَـــذِى حِكَايَـــةُ وَرْدَةٍ   تَحْلَـى بِســـيرَتِهَا السِّيَرْ
شـــغَلَتْ مكَانـاً مِنْ حيَا   تِى لَـمْ يَـزَكْ عَبَـقِ الأَثَرْ



فِى ذَلِكَ الـــزَّمَنِ الَّذِى   هُوَ أَمْسُ لاَ عَهْدٌ عَهِيـــدْ
لَكِـــنْ أَشَـــرْتُ بِبُعْـــدِهِ   إِذْ كُـلُّ مُنْصَـرِمٍ بَعِـــيدْ
ظَفِرَتْ يَـــدَاى بِهَـــا وَكَا   نَتْ تُحْفَـــةً بَيْـــنَ الـــزَّهَرْ
مِنْ فَاخِـــرِ الْـــوَرْدِ الَّـــذِى   يَسْـــبِى بِرَوعَتِـــهِ الْفِكَـــرْ

مَمْشُوقَةٌ أَوْرَاقُهَا ... مَضْمُومَةٌ ضَمَّ الشَّفَهْ

تَشْفِى بِبَهْجَتِهَا أُوَا ... مَ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَشِّفَهْ(1)

عَذْرَاءُ جَادَتْ لِى بِهَا ... عَذْرَاءُ مِنْ أَخَوَاتِهَا

حَكَتِ اللِّدَاتِ بِحُسْنِهَا ... وَتَفَرَّدَتْ فِى ذَاتِهَا

فَحَفِظْتُهَا حِفْظَ الْحَرِ ... يصِ عِنَايَةً وَتَعَهُّدَا

وَمَنَحْتُهَا حَظَّ الْخَصِـ ... ـيصِ رِعَايَةً وَتَوَدُّدَا

أَحْلَلْتُهَا مُسْتَبْشِراً ... خَيْرَ الْمَوَاضِعِ فِى الْحِمَى

وَظَلَلْتُ أَيَّامًا أُجَا ... وِرُ نَفْحَةً وَتَبَسُّمَا

حَتَّى إِذَا مَا آذَنَ الْـ ... ـقَدَرُ الْمُتَاحُ بِبُعْدِهَا

زَادَ الشَّجَى فِى النَّفْـ ... ـسِ رُزْئِى مَرَّتَيْنِ بِفَقْدِهَا

فِى الْبِدْءِ مَاتَ بِهَا الْجَمَا ... لُ وَعُمْرُهُ أَبَداً قَصِيرْ

لَكِنْ أَقَامَ عَبِيرُهَا ... فَجَعَلْتُ سَلْوَاىَ الْعَبِيرْ



(1) الأوام : العطش .

هَذِى عَرُوسُ الْوَرْدِ أَمْسَـ ـــــــتْ بَزْرَةً أَوْ شِبْهَ ذَاكْ
جِسْمٌ أَلَمَّ بِهِ الـــــرَّدَى فَأَجَفَّهُ وَالـــرُّوحُ ذَاكْ[1]

صَيَّرْتُ حَبَيـــبى مِنْ شَمَـا لِ الــصَّدْرِ مَوْطِنَهَا الأَمِــينْ
وَلَبِثْتُ آنَـــا بَعْـــدَ آ نِ أَنْشَقُ الْعِــطْرَ الــكَمِينْ

طِيــــبٌ أُحِسُّ بِشَمِّهِ مَا ظَلَّ فِــيــهَا مِنْ رَمَقْ
وَعَلَى تَوَالِــى نَقْصِــه مِنْهَا يَزِيــدُ بِىَ الــفَرَقْ[2]

أَخْشَى وَأَحْزَنُ كُلَّمَا مَرَّتْ سُوَيْــعَاتُ الــوِصَالْ
وَأَوَدُّ لَــوْ بِجِوَارِهَــا لِلْقَلْبِ مُدَّتُهَــا تُطَــالْ

لَكِنْ مَتَــى حُــمَّ الْقَضَـا ءُ فَلَيْسَ يَدْفَعُهُ الْحَذَرْ[3]
مَــاذَا يَرُدُّ عَلَيْــكَ فَــرْ طُ الْحِــرْصِ وَالْجَارِى قَدَرْ

أَصْبَحْتُ يَوْمًــا وَهْــىَ قَدْ جَــادَتْ بِفَــضْلَه عِطْرِهَا
وَبَــدَا عَلَــيْهَا أَنَّهَــا فَاضَتْ بَقِـــيَّةُ عُمْرِهَــا

---

(١) ذاك : فائح العطر .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) حم : نزل .

فَاسْتَوحَشَتْ نَفْسِى وَكُنْـ   ـتُ بِجَارَتِى مُسْتَأْنِسَا
وأَسَيتُ أَقْصَى مَا تُجِزُ طَبَائِعُ الزَّهْرِ الأَسَى
لاَ تَقْبَلُ الأَزْهَارُ أَنْ تُبْكَى وَغَايَتُهَا الفِدَى
هِىَ لِلْبَشَائِرِ فِى الْحَيَا   ةِ وَلِلْمَرَاحِمِ فِى الرَّدَى
لَكِنْ ضَنَنْتُ بِوَرْدَتِى   عَنْ أَنْ تُرَدَّ إِلَى الثَّرَى
آثَرْتُهَا لِى دُونَهُ   وَحَرِّى بِهَا أَنْ تُؤْثَرَا
تِلْكَ الَّتِى بِحَيَاتِهَا   مَلأَتْ عُيُونَ الْمُعْجَبِينْ
عَادَتْ عَقِيبَ مَمَاتِهَا   هَنَةً لَهَا شَبَهُ الْجَنِينْ
شَبَهٌ صَنَعْتُ بِوَحْيِهِ   لَحْداً حَكَى الْمَهْدَ الْجَمِيلْ
مَا الْمَهْدُ إِلاَّ اللَّحْدُ فِى   جَدَّيْنِ بَيْنَهُمَا سَبِيلْ
شَاكَلْتُ بَيْنَهُمَا وَمَا   قَصْدِى مُشَاكَلَةُ الصِّفَّهْ
لَكِنْ يُعَانُ الْقَلْبُ أَحْيَا   نَاً بِبَعْضِ الْفَلْسَفَهْ
أَلْمَهْدُ رَمْزُ الْعَوْدِ أَوْ   رَمْزُ الْوُجُودِ مُجَدَّدَا
وَالْعَوْدُ فِى الأَحْيَاءِ لَيْـ   ـسَ يَكُونُ إِلاَّ مَوْلِدَا

فَلِمَعْنَيَيْنِ كِلاَهُمَا فِيهِ رَجَاءٌ أَوْ عَزَاءْ
هَيَّأْتُ ذَاكَ الْمَهْدَ مَوْ فُورَ الْمَحَاسِنِ مَا أَشَاءْ
أَرْجُو بِهِ التَّبْشِيرَ إِنْ كَانَ التَّجَدُّدُ يُؤْمَلُ
أَوْ أَبْتَغِي التَّذْكِيرَ وَالذِّكْرَى نُشُورٌ أَوَّلُ



أَلنَّفْسُ أُمٌّ كَالطَّبِيعَةِ لَيْسَ تَفْتَأُ تَخْلُقُ(١)
وَتُعِيدُ فِي رَسْمٍ جَدِيدٍ كُلَّ شَيْءٍ يُخْلَقُ
فَبِالابْتِكَارِ تَصُوغُ مَا يَهْدِي إِلَيْهِ وَحْيُهَا
وَبِالادِّكَارِ تَرُدُّ أَشْبَاحاً شَجَاهَا نَأْيُهَا
مَا أَعْجَبَ الذِّكْرَى وَأَشْفَاهَا لِتَبْرِيحِ الْجَوَى
نُورٌ بِهِ تَجْلُو النُّهَى مَا حَجَّبَتْ عَنْهَا النَّوَى
وَلِوَرْدَتِي مَا دُمْتُ حَيًّا بَعْثَةٌ فِي خَاطِرِي
وَبِهِ يُقَبِّلُهَا فَمِي وَبِهِ يَرَاهَا نَاظِرِي

---

(١) تخلق : تجدد خلقا .

فَـإِذَا جَـرَى أَنِّـى نَسِيـتُ وَرُبَّمَـا نَسِـىَ الْفَطِـنْ

فَالْمَهْـدُ يَمْنَـحُ يَقْظَـةً طَـرْفَ الضَّمِيـرِ إِذَا وَسِـنْ[1]

مَهْدٌ بِشَكْلِ خَمِيـلَةٍ غَنَّاء حَانِيَةِ الـغُصُونْ

أَنْزَلْتُهَـا مِـنْ قَلْبِـهِ فِى مَنْزِلِ الـسِّرِّ الْمَصُونْ

فِى كُلِّ يَـوْمٍ حَـوْلَ ذَا كَ الْمَهْـدِ أَسْـرَابُ الْمُنَى

وَطَوَائِفُ الـفِكَرِ السَّـوا نِحِ فِـى تَلاَمِيـعِ الـسَّنَى

مَا بَيْـنَ مُمْسِيـةٍ تُرَفْـ رِفُ حَـوْلَهُ أَوْ مُصْبِحَهْ

شِـبْهَ الْفَرَاشِ تَخَـالُهَا زَهَراً يَطِيـرُ بِأَجْنِحَـهْ

يَعْـقِدْنَ رُؤْيَـا لِلَّتِى مَاتَتْ فَتُحْسَـبُ حَالِمَـهْ

وَعَلَـى رَقِـيقِ الشَّدْوِ يُو قِظْـنَ العَرُوسَ النَّائِمَـهْ

فَتَعُـودُ تِلْـكَ الْـوَرْدَةُ الـ ـزَّهْرَاءُ زَاهِيَـةَ الْـوَرَقْ

مِـلْءَ الضَّمِيـرِ بِحُسْـنِهَا وَكَأَنَّهَـا مِـلْءُ الْحَـدَقْ

لاَ تَبْعَـدِى أَىْ وَرْدَتِـى مَا غَـابَ إِلاَّ مَـنْ سَـلاَ

---

(١) وسن اغفى .

لله مَـــا أَحْلَـــى الْفُـــؤَا   دَ إِذَا مِنَ الـــذِّكْرَى خَـــلاَ

مَا مَـــاتَ مَـــنْ لِمُحِبِّـــهِ   قَلْبٌ وَفِـــــــىٌّ يُنْشِرَهْ

أَلْقَلْبُ يَطْـوِى الْغَيْـــبَ فِــى   أَثَرِ الْحَبِيـــبِ فَيُحْضِـــرَهْ

تَالله إِنَّكِ مَـــا مَكَثْـــتِ عَنِ الْحَيَـــاة مُغَيَّبَـــهْ

لَنَضِيـــــرَةٌ فِى مُقْلَـــ   ـــتَىَّ وَفِـى فُـــؤَادِى طَيِّبَـــهْ

يَارَبَّةَ الـــشِّيَمِ الـــنَّبِيـــ   ـــلَةِ هكَـــذَا نُبْلُ الـــعَطَاءْ

كُـــلٌّ الأَزَاهِـــرِ لِلَّتِـــى   هِـــىَ مِنْـــكِ فَلْتَكُـــنِ الـفِدَاءْ

فَـــازَتْ بِبَعْـــضِ الْقُـــرْبِ مِنْـ   ـــكِ وَذَاكَ عِزٌّ لاَ يُـــرَامْ

فَلِـــذَاكَ أَمْسَـــتْ فِــى الْوُرُو   دِ وَقَدْ أُقِـــيمَ لَهَـــا مَقَامْ

أَدَّتْ أَمَـــانَتَهَـــــا أَدَا   ءَ الْحَـــقِّ فِــى دَارِ الـــشَّقَاءْ

وَإِلَيْـــكِ أَهْـــدَتْ عُمْرَهَـــا   بِمَمَاتِهَـــا فَلَكِ الـــبَقَـــاءْ

٣٥ النـــوّارة

أو

زهرة المرغريت

ألف الأغرار من العشـاق أن ينثروا أوراق هذه الزهرة واحدة بمعنى «نعم» والتالية بمعنى «لا» بقصد أن يتـبينوا في نهاية العدد أتحبهم التي يعشقونها أم لا تحبهم.. فقال الشاعر في ذلك وقد كبر سنًا:

أُراجِعُ نَفسى هَل أَنا ذَلِكَ الذى ... عَهِدْتُ بِأَمسِى أَم أَنا رَجُلٌ ثَانِ ؟
عَلِمتُ صُنُوفَ العِلْمِ دَرسـاً وَخِبْرَةً ... فَمَالِى بَلَغْتُ الجَهلَ فِى مُنْتَهَى شَانِى ؟
أَرَانِى بَعدَ الشَّيْبِ عَاوَدَنِى الهَوَى ... فَرَدَّ صِبَى الدُّنـيَا عَلَّى وَأَصْبَانِى
غَدَوْتُ كَأَنِّى مَا عَرِفتُ حَقِيـقَةً ... وَهَل أَنا إِنْ يَدْعُ الهَوَى غَيْرُ إِنسَانِ؟
فَيَالِىَ مِن كَهْلٍ يُرَى وَهْوَ جَاثِمٌ ... كَطِفْـلٍ عَلَى شـىْءٍ يُقَلِّبُهُ حَانِ
بِكَفِّى مِنَ النُّوَّارِ ذَاتُ أَشِعَّـةٍ ... لهَا قُرْصُ شَمسٍ زَانَهُ تاجُ أَلوانِ

فَبَينَا أُجِيلُ الطَّرْفَ فِى قَسِمَاتِهَا وثَمَّ فُنُونٌ مِن جَمَالٍ وَإتـقَانِ
إذَا أَنَـا لِلـتَّاجِ الْمُنَظَّمِ نَاثِرٌ تِبَاعًا ولِى فِى ذَاكَ تَردِيدُ صِبْيَانِ
أُسَائِلُ أَوراقاً -وَيالَيتَ شِعْرَهَا- أَتَهوَانِىَ الحَسنَاءُ أَم لَيسَ تَهْوانِى؟

٣٦ في الغـــابة

صورة خياليـة يتنقل في غابة مرتفعة باحثاً عن زهرة غـير موجودة

مَا بَالُهُ مَـا أَصَابَـهْ ؟ مَا سُـؤْلُهُ فِي الـغَابَهْ ؟
هَبَّ الـغَدَاةَ وَوَالَـى إِلـى الـزَّوَالِ اضْطِرابَـهْ
تَهفُـو الـغُصُونُ إِلَيْهِ أَوْ تَنْثَنِـى تَوَّابَـهْ
أَنَا يَـبِينُ وَأَنَا يَخْفَـى وَرَاءَ غَيَابَـهْ
أَنَّى تَنَقَّـلَ يَمْشِـى فِـى زِينَةٍ وَغَرَابَـهْ
مُوَشَّحـاً بِشُعَاعٍ أَوْ مُسْـتَقِلاً سَـحَابَهْ
أَوْ خَائِضـاً بَحْرَ فَيْءٍ يَشُـقُّ شَـقًّا عُبَابَـهْ
تَفِـرُّ بَيْنَ يَدَيْـهِ أَهِـلَّةٌ لَعَّابَـهْ

أَوْ عَابِراً بِخُطَـــــــاهُ مَجَـــرَّةً مُنْسَـــابَهْ[1]
مِـــنَ الْوُرَيْقَاتِ تَجْـرِى بِهَـــا الـــصبَّا الْوَثَّابَهْ
حَتَّى إذَا الـــشَّمْسُ مَالَتْ بَيْنَ الأَسَى وَالـــدُّعَابَهْ
تُلْقِى وَدَاعــاً بَهِيــجــاً وَالـظِّلُّ يُلْقِى كــــآبَهْ
أَجْـــرَتْ عَلَـــى مَنْكِبَيْهِ حُلَى نُضَـــارٍ مُذَابَـــهْ
فَلاَحَ كَالـــطَّيْفِ لَوْلاَ هَزُّ الـــنَّسِيـــمِ ثـــيَابَهْ
مَـــاذَا تَوَخَّيْـتَ يـا مَـــنْ أَضْـوَى الـعَنَاءُ إِهَابَـــهْ؟
مِـــنْ كُـــلِّ ذَاتِ غِرَاسٍ وَكُـــــلِّ ذَاتِ عَشَابَهْ[2]
فَكَـــــانَ مَا رُمْتَ سُؤْلاً عَـــزَّتْ إِلَيْـــهِ الإجَـــابَهْ
أَرَدْتُ فِى الـــزَّهْرِ بِكْــراً فَتَّانَـــــةً خَـــــلاَّبَهْ
عَـــنْ كُـــلِّ بِنْتِ رَبِيـعٍ بِحُسْـــــنِهَا تَتَبَـــــاهْ
بَرَّاقَــــةٍ عَـــن ذَكَـــاءٍ ضَحَّاكَــــةٍ عَـنْ نَجَابَهْ
فَوَّاحَــةٍ عَـــنْ خِـــلاَلٍ ذَكِيَّــــةٍ مُسْــــتَطَابَهْ

(١) المجرة : منطقة فى السماء كثيرة النجوم ترى كأنها بقعة بيضاء .

(٢) عشابة ، مصدر عشب المكان : نبت عشبه .

نَقِيَّـــةٍ لَـــمْ تُطَالَـــعْ   بِـــأَعْيُنٍ مُرْتَابَـــــهْ

لِلْمُجْتَلِي هِـــيَ رَوْضٌ   وَلِلـــشَّجِيِّ صَحَـــابَهْ

أُنَيـــــــبُهَا فِي وَفَاءٍ   عَنِّي أَعَـــزَّ إِنَابَــــهْ

لَدَى أَمِيـــــرَةِ فَضْـــلٍ   مَصُـــــونَةٍ وَهَّابَــــهْ

بِهَا جَمَــــــالٌ وَنُبْلٌ   إِلـــى عُلَـــى وَمَهَـــابَهْ

مَقَامُهَـــــا لاَ يُسَـــامَى   كَرَامَــــةً وَحَسَـــــابَهْ

أَسْدَتْ إِلَيَّ جَمِيــــــلاً   وَمَـــا قَضَيْـــتُ نِصَابَـــهُ

فَظَلْتُ فِي الـــزَّهْرِ أَبْغِـــي   تِلْكَ الَّتِـــي لاَ تُشَابَـــهْ

حَتَّـــى إِذَا طَـــالَ كَـــدِّي   وَلَـــمْ أَفُزْ بِالـــطِّلاَبَـــهْ

نَظَمْتُهَـــــا مِـــنْ خَيَـــالٍ   وَصُغْتُهَـــــا بِالْكِتَـــابَهْ

عَـلَّ الْهَدِيَّـــةَ رَسْمــــــاً   تُثِـــيبُ بَعْـــضَ الإِثَابَـــهْ

٣٧ الفـــداء

أنشدت فى حفل أقـيم لتحية أرواح الشهداء المصـريين فى الحركة الوطنية ولتحـية الذين أفرج عنهم من السجـون بعد العناء الطويل

إلى أرواح الشهداء

تَحِيَّةٌ أَيهَا الـقَتْلَى وَتَسلِيـــــمَا ... بَلَغـتُمُ الشَّأْوَ تَخليـداً وتَعظِيـمَا

لاَ يَعْبُدُ المَرءُ رَبّاً لاَ وَلاَ وَطَنــاً ... بِمِثْــلِ إِغْلاَئِهِ القُربَانَ تَقـــدِيمَا

قُلتُمْ وَصَدَّقَ مَا قُلـتُمْ تَحَمُّلُكُمْ ... أَذى يَرُدُّ فِرِنْدَ الصَّبْـرِ مَثْلُومَا[1]

مَا المَوتُ إِن كَانَ إِنقَاذُ البِلاَدِ بِهِ ... مِن غَاصِبٍ وَانتِـصَافُ الشَّعبِ مَظلُومَا

يُحَطِّمُ العَظْمُ مِنكم دُونَ بُغيَتِكُمْ ... فَتَصـبِرُونَ وَيَأْبَى العَزمُ تَحْطِيـمَا

بِراً «بِمِصْـرَ» وَخَوفاً أَن يُسَلِّمَهَا ... إِلَى العِدَى وَاهِنُو الإِيمَانِ تَسلِيمَا

---

(١) الفرند : حد السيف .

لَيسَ الشَّهَادَةُ إلا مَنْ يمُوتُ عَلَى حَقٍ وَمَن لايبالى فِيهِ مَا سيما[1]
إمْضُوا رِفَاقاً كِراماً حَسبُكُمْ عِوَضاً مَجدٌ عَزيز عَلَى الخطابِ إن رِيمَا[2]
لِلمُشْتَرِى بِصِبَاهُ عِزَّ أُمتّه ذِكرٌ يَديمُ اسمَهُ بِالتِّبْرِ مَرقُومَا
وَلِلَّتِى استَبدَلَتْ بِالقَبرِ مَرتَعهَا قِسطٌ مِنَ الفَخرِ فَوقَ العُمرِ تَقوِيمَا
لاَ تَحسَبُوا مِصرَ تَنسَاكُمْ فَكُلُّكُموا يَبقَى عَلَى الدَّهرِ مَرؤُومًا وَمَرحُومَا[3]
وَفِى المَرَابِعِ مِن أَرواحِكُمْ نَسَمٌ تَظَلُّ تَأْتِى بِهَا الأَروَاحُ تَنسِيمَا[4]

تحية للذين أطلقوا من الاعتقال

يَا خَارِجِينَ كِرَاماً مِن مَحَابِسِهِم وَمُبْهِجِى كُلِّ قَلبٍ كَانَ مَغمُومَا
كَم كُبِّلَ الحَقُّ بِالأَصفَادِ مِن قِدَمٍ ثُمَّ انطَوَيْنَ وَبَاءَ البُطْلُ مَهزُومَا
يَاسُوءَ دَهرٍ قَضَتْهُ قَبلَ نَهضَتِهَا «مِصرٌ» يُخَيِّمُ فِيهَا الذُّلُّ تَخيِيمَا
تَهِى قُوَى الـلَّيثِ مِن عَيْثِ الذِّئَابِ بِهَا وَيَلْتَوِى الأَمرُ تَحلِيلاً وَتَحرِيمَا

(١) سيم : كُلِّفَ .

(٢) ريم : طُلِبَ .

(٣) مرؤوم : معطوف عليه .

(٤) المرابع : المنازل . نسم : جمع نسمة ، وهى هنا : الريح اللينة الخفيفة

فَالـــــيَومَ عَادَ إلَى رَأْيٍ يُشَرِّفُهَا مَنْ ظَنَّ إقْلِيمَهَا لِلخَفْضِ إقْلِيمَا[1]

دَلَّتْ عَلَى قُوَّةٍ فِيــهَا صَلاَبَتُكُمْ تَذُودُ عَنْهَا الأَشِدَّاءَ المَقَاحِيمَا[2]

هَل يُجْزِئُ الـــشُّكْرُ مِن ضَيْمٍ تَحَمَّلَهُ بالأَمسِ مَن مِنكُمُو فى رَأْيِهِ ضِيمَا[3]

قَد أَثَّمُوكُمَ وكَمْ مِن مُثْلَةٍ نَزَلَتْ بِالأَبرِيَاءِ وبِالأَبْرَارِ تَأْثِيــمَا[4]

وبَعْضُ مَاعَاقَبُوكُمْ فِيهِ جَعْلُكُمُو صِدقَ الهَوَى لِلْحِمَى دِيناً وتَعلِيــمَا

لأَحَاكِمــاً دُونَ مَا أَوحَتْ ضَمَائِرُكُمْ تُرَاقِبُونَ ولاَ تَرْعَوْنَ مَحــكُومَا



لَقَد ظَفِرتُم بِمَا أَدنَى القَصِيَّ لَكُم مِنَ المَرَامِ فَلَيــسَ الـفَوْزُ مَزْعُومَا

هَلِ اسْتَقَامَ زَمَانٌ لاَ يُقَوِّمُهُ بَنُوهُ بِالصَّبــرِ وَالإقدَامِ تَقــوِيمَا ؟

أَو نَالَ حُرِّيَّةً قَومٌ بِـــهَا جَدَرُوا وَهُمْ يُبَالُونَ تَقتِيلاً وتَكْلِيماً ؟[5]



(١) الخفض (هنا) : مصدر خفضه : أنزله وحطه وهوى به .

(٢) المقاحيم ، جمع مقحام : وهو الشجاع يقتحم ولا يهاب .

(٣) ضيم : انزل به الظلم .

(٤) أثموكم : وجدوكم على إثم . المثلة : التعذيب والتنكيل .

(٥) تكليما : تجريحا .

يَا سَادَةً خَاسـنُّجُومِ اسـغُرٌ مَنـزِسَةً   وَسَيِّدَاتٍ خَعقْدِ اسـدُّرٌ مَنـظُومَا
حَمْداً لإقْبَـاسِكُمْ هَذَا وَحَفْلَتِكُمْ   تُهَنِّئُونَ اسـصَّنَادِيـدَ المَقَادِيمَا[1]
مِنَ الأُولَى مَاونَوْا عَن وَاجِبٍ فَبَنَوْا   لِعِزِّ «مِصـرَ» طِرافـاً كَانَ مَهـدُومَا[2]
أَوسَئِكُمْ إنْ بَدَا مِن فَضـلِهِمْ أَثَرٌ   فَكَم سَهُم مِن جَمِيلٍ ظَلَّ مكتُومَا
فَلْتَحْى «مِصـرُ» وأَبرَارٌ نُجِلُّهُمُو   وَنَحتَفِى بِهِمُ حبًّا وتَكـرِيمَا

---

(١) اسصناديد : اسشجعان . المقاديم : جمع مقدام أى الجرئ .

(٢) اسطراف : اسبيت .

٣٨ غصـــن

من زهر المشمش

قدمه الشاعر لوالدته وهى مريضة

جَاءَتْــكِ يَـــا أُمَيْمَتِــى   بُشْرَى اسـشِّفَاءِ فَانْظُرِى
مَاذا تَقُوســينَ بـهــ   ـذَا اسْغُصُــنِ الْمُنَــوِّرِ ؟
أَلَمَاسِئَ اســنَّفْسَ بِرَيَّا   هُ اســنَّخِيِّ اســعَطِرِ
أَســذَّاهِبِ الأَفْرُعِ خُـ   ـلَّ مَذْهَبٍ مُحَيِّرِ
فِى خُلِّ فَرْعٍ زِيــنَةٌ   مِنْ نَاصِعَاتِ اســزَّهَرِ
يَمْــلأُ خُــلَّ جَانِــبِ   مِنْهُ ضَحُوكُ اســشَّرَرِ
وَفِـــيـــهِ مَا يَبْهَرُ مِنْ   قَطْرِ اســنَّدَى الْمُسْتَعِرِ

كَـــــــأنَّهُ قَدْ عَلِقَتْ بِهِ . صِغَارُ الـــــزُّهُرِ[1]
هُوَ الـــــرَّبِيـــــعُ عَائِداً بِحُسْـــــنِهِ المُزْدَهِـــــرِ
أَجْمَلُ مَا يُرَى كَبِـــــــ ـيـــرُ الْحُسْنِ فِى مُصَغَّرِ
وَفَــــوْقَ مَــــا يَبْلُغُـــهُ تَصَــــوُّرُ الْمُصَـــــوِّرِ
يَنْقَـــــعُ غُلَّةَ الــــنُّفُو سِ بِالـرَّفِيـفِ الْخَصِرِ[2]
قَدْ مَلا الْغُرْفَـــةَ بَهــــ ـــجَةً وَحُسـنَ مَنْظَـــرِ
وَقَدْ نَفَى بِصَفْوِهِ الـلَّـ ـــمَّاحِ كُـــلَّ كَـــدَرِ
فَاسْتَقْبِلِى الــــصِّحَةَ فِى لِقَـــائِـــهِ وَاسْتَبْشِرِى

(١) الزهر : النجوم .

(٢) الرفيف : حركة الماء . الخصر : البارد .

٣٩ بنفسجة فى عروة

آلف الشاعر فى ذلك العام أن يضع زهرة بنفسج فى العروة التى تعلو الجيب الأيسر من ردائه . وسر ذلك أنه كان يحب سيدة تحب البنفسج ولا يبوح لها بأمره إلا على هذه الصورة

جَعَلْتُ فِى عُرْوَتِى بَنَفْسَجَةً   تَزِينُ صَدرِى وَنِعْمَتِ الزِّينَهْ
هَلْ فِى ذَوَاتِ الجمَالِ أَكْمَلُ مِنْ   مَلِيكَةٍ فِى اتِّضَاعِ مِسْكِينَهْ ؟
شِنْشِنَةٌ قَد تَخِذْتُهَا لِىَ فِى   عَامِى وَقَصْدِى عَنِ العَذُولِ خَفِى[1]
أَشْبَهُ شَىْءٍ بِطَبْعِ مَالِكَتِى   أَضَحى شِعَاراً لِعَبْدِهَا الدَّنِف
فَيَالَهَا عُرْوَةً وَقَد جُلِيَتْ   كَالعَيْنِ فَوقَ الفُؤَادِ تَستَعْلِى
مَا بَينَ جَفْنَيْنِ شُقَّ هُدْبُهُمَا   عَن كَحَلٍ فِيهِ زُرقَةُ الكُحْلِ

(١) شنشنة : عادة .

زُهَيْرَةٌ كُلُّ مَنْ يُلاحِظُهـا ... تَرُوعُهُ بِالزُّهُورِ وَاللُّطْفِ[1]

يُشْعِرُكَ الطَّرْفُ وَهْيَ قَاصِيَةٌ ... بِطِيبِ مَا خَبَّأَتْ مِنَ العَرْفِ[2]

رَاوَدَنِي الطِّفْلُ حِينَ أَبْصَرَهَا ... عَنْهَا بِمَا لِلصِّغَارِ مِنْ حِيَلِ

مُطَوِّقًا فِي الْتِمَاسِهَا عُنُقِي ... وَسَامِحاً مَا أَشَاءُ بِالْقُبَلِ

فَاسْتَلَّهَا مِنْ مَكَانِهَا وَأَنَا ... أَدْفَعُهُ دَفْعَ مَنْ يُرَغِّبُهُ

كَمْ مِنْ حَبِيبٍ، وَأَنْتَ تُبْعِدُهُ، ... تَصُدُّهُ صَدَّ مَنْ يُقَرِّبُهُ

مِن ذَلِكَ الطِّفْلُ؟ صُورَةٌ بَلَغَتْ ... بِهَا العِنَايَاتُ غَايَةَ الْحُسْنِ

فَظُنَّ مَا حُسْنُ أُمِّهِ وَلَقَدْ ... أَقُولُ بَالِغْ مَا شِئْتَ بِالظَّنِّ

أَعْطَيْتُهُ زَهْرَتِي فَقَبَّلَهَا ... هُنَيْهَةً مُحْسِناً سِيَاسَتَهُ

حَتَّى إِذَا مَا قَضَى لُبَانَتَهُ ... وَكَادَ يُبْدِي لَهَا شَرَاسَتَهُ

تَوَثَّبَتْ أُمُّهُ ، وَقَدْ لَمَحَتْ ... مَا كَانَ مِنْهُ ، خَفِيفَةَ الْقَدَمِ

وَارْتَجَعَتْهَا مِنْهُ مُبَالِغَةً ... لَدَيْهِ بِالتَّرْضِيَاتِ فِي الكَلِمِ

فَرَوَّتِ الْعَيْنَ مِنْ مَحَاسِنِهَا ... وَانْتَشَقَتْ عِطْرَهَا عَلَى مَهَلِ

---

(١) الزهور : الإشراق .

(٢) العرف : الرائحة الزكية .

ثـــمَّ أَعَادَتْ إلـــىَّ ضَائِعَتِى مُوَرَّدًا وَجْهُهَا مِنَ الخَجَلِ
أَأَصْلَحَتْ مِنْ وَلِيـــدِهَا خَطَأً وَلَيْسَ فِعْلُ الْوَلِيـــدِ بِالنُّكْرِ ؟
أَمْ أَدْرَكَتْ مَا أُكِنُّ مِنْ شَغَـــفٍ بِهَا ، فَبَاحَتْ بِأَنَّهَا تَدْرِى ؟
أَمْ سَأَلَتْ جَارَةَ الْفُؤَادِ لِتَسْـ ـتَطْلِعَ مِنْهَا صَحِيـحَ أَخْبَارِى ؟
وَلَيْسَ فِى الْمُنْبِئِينَ أَصْدَقُ مِنْ جَارٍ بِأَنْبَائِهِ عَنِ الجَارِ
أَمْ شَكَرَتْ لِى، عَلَى تَظَاهُرِهَا بِجَهْلِ وَجْدِى، صَبْرِى عَلَى وَجْدِى؟
أَمْ أَشْعَرَتْنِى، يَالُطْفَ مَا فَعَلَتْ، بِأَنَّ مَا عِنْدَهَا كَمَـــا عِنْدِى ؟

٤٠ قـــــران

الصديق الكريم الدكتور لويس عوض بك(*)

مَكَانُكَ يَا «لُويسُ» نُهىً وَعِلْمـاً — مكَانٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ «بِمِـصْرِ»
بِجِدِّكَ لاَ بِجَدِّكَ وَهْوَ عَالٍ — نَبَغْتَ وَقَدْ بَلَغْتَ أَجَلَّ قَدْرِ
تُدَاوِى الـدَّاءَ مَهْمَا يَعْصِ طِبًّا — فَلاَ يَعْصِيـكَ فِى نَهْىٍ وَأَمْرِ
وَلَسْتَ مُبَالِيـاً أَجْراً وَلكِنْ — تَعُودُ مُزَوَّداً أَبَداً بِشُكْرِ
لِيَهْنِئْكَ الْقِرَانُ بِذَاتِ نُبْلٍ — مِنَ الْغِيـدِ الصِّبَاحِ وَذَاتِ طُهْرِ
أَعَزَّ اللهُ «مَرْيَمَ» مِنْ عَرُوسٍ — هِىَ الْحُسْنُ انْجَلَى فِى شَمْسِ خِدْرِ
سَعِدْتَ بِهَا كَمَا سَعِدَتْ فَطِيبَا — وَعِيشَا بِالرِّفَاءِ مَدِيدَ عُمْرِ(١)

(*) وهو غير الكاتب المشهور.

(١) الرفاء : الوفاق .

٤١ عتـــب

اللغة العربية على أهلها

وقد آثروا عليها اللغـــات الأخـــرى

إنها تستجير بالدكتور طه حسين بك

سَمِعْتُ بأُذْنِ قَلْبِى صَوْتَ عَتْبٍ لَهُ رَقْرَاقُ دَمْعٍ مُسْتَهَلٌ
تَقُول لأَهْلِهَا الفُصْحَى : أَعَدْلٌ بِربِّكُمُ اغْتِرَابِى بَيْنَ أَهْلِى ؟
أَلَسْتُ أَنَا الَّتـــِى بِدَمِى وَرُوحِى غَذَتْ مِنْهُمْ وأَنْمَتْ كُلَّ طِفْلِ ؟
أَنَا الْعَرَبِيَّةُ المَشْهُودُ فَضْلِى أَأَغْدُو الْيومَ، وَالمَغْمُورُ فَضْلِى ؟
إذَا مَا الْقَوْمُ بِالـــلُّغَةِ اسْتَخَفُّوا فَضَاعَتْ، مَا مَصِيـــرُ الْقَومِ؟ قُلْ لِى
وَمَا دَعْوَى اتِّحَادٍ فِى بِلاَدٍ وَمَا دَعْوَى ذِمَارٍ مُسْتَقِلٌ ؟[1]

---

(١) الذمار : ما تجب على الرجل حمايته من دار ووطن .

فَسَادُ الْقَوْلِ فِيـــــهِ دَلِيلُ عَجْزٍ   فَهَلْ مَعَهُ يَكُونُ صَلاَحُ فِعْلٍ ؟
بُنَيَّاتِ الْحِمَى أَنْتُنَّ نَسْلِـــــي   فَإِنْ تَنْكِرْنَنِى أَتَكُنَّ نَسْلِـــي ؟
وَيَا فِتْيَانَهُ إِنْ أَخْطَأْتُنِــــــي   مَبَرَّتُكُمْ، فَإِنَّ الـثُّكْلَ ثُكْلِــي
يُحَارِبُنِي الأُولَى جَحَدُوا جَمِيلِى   وَلَمْ تَرْدَعْهُمُ حُرُمَاتُ أَصْلِى
وَفِى الْقُرْآنِ إِعْجَازٌ تَجَلَّتْ   حِلاَىَ بِنُورِهِ أَسْنَى تَجَلٍّ
وَلِلْعُلَمَاءِ وَالأُدَبَاءِ فِيـــــمَا   نَأَتْ غَايَاتُهُ مَهَّدْتُ سُبْلِى
إِذَا مَا كَانَ فِى كَلِمِى صِعَابٌ   فَلاَ تَأْخُذْ كَثِيــــــرِى بِالأَقَلِّ
وَهَلْ لُغَةٌ قَدِيمــاً أَوْ حَدِيثـــــاً   تُعَدُّ بِوَفْرَةِ الْحَسَنَاتِ مِثْلِى ؟



فَيَا أُمَّ اللُّغَاتِ عَدَاكِ مِنَّا   عُقُوقُ مَسَاءَةٍ وَعُقُوقُ جَهْلِ
لَكِ الْعَوْدُ الْحَمِيـدُ فَأَنْتِ شَمْسٌ   وَلَمْ يَحْجُبْ شُعَاعَكَ غَيْرُ ظِلٍّ
دَعَوْتِ فَهَبَّ مِنْ شَتَّى الـنَّوَاحِى   مَيَامِينٌ أُولُو حَزْمٍ وَنُبْلِ
بِرَأْيٍ فِيـــــكِ يَكْفُلُ أَنْ تُرَدِّى   مُكَرَّمَةً إِلـــى أَسْمَى مَحَـــلٍّ
يُنَوِّرُ شِعْرُهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ   وَيُزْهِرُ نَثْرُهُمْ فِى كـــلِّ حَقْلِ

وَ «طَهَ» فِى طَلِيــعَةِ مَنْ أَجَابُوا   يُهَيِّئُ نَهْضَةً فِى الْمُسْتَهَلِّ
بِمَوْفُورَيْهِ : مِنْ أَدَبٍ وَفَنٍ   وَمَذْخُورَيْهِ : مِنْ عَقْلٍ وَنَقْلِ
يَفيضُ كَما يَفِــيضُ النِّيلُ خِصْباً   وَيُحْـــيِى الحَرْثَ فِى حَزْنٍ وَسَهْلِ(١)
ويَبْعَثُ فِى شَبَابِ الْعَصْرِ رُوحـاً   هُوَ الـرُّوحُ الَّذِى يَبْنِى وَيُعْلـــِى
إِذَا مَا جَاوَلَ الْفُرْسَانَ جَلَّى   وَخَلَّفَ شُقَّةً دُونَ الْمُصَلِّى(١)
فَكَيْفَ بِهِ إِذَا مَا شَنَّ حَرْبـــاً   عَلَى بِدْعِ الـضَّلُولِ أَوِ الْمُضِلِّ ؟

---

(١) الحزن : الأرض الصعبة .

(٢) جلى : سبق وجاء أولاً . المصلى : من يجئ تالياً .

٤٢ فى تقدم اللغة العربية

والعيب فى الجمود

مَاذَا يُرِيدُ مِنَ الحَقِـيقَةِ مُسْقِطٌ   تَكْلِيـفَهَا عَنْ نَفْسِهِ بِتَوَهُّمِ
مَاذَا يُرِيـدُ مِنَ المَعَالِى نَائِـمٌ   وَالـنَّجْمُ مُزْدَهِرٌ لِغَيْرِ الـنُّوَّمِ
لِنَعِشْ مَعَاش زمـاننا ولْنَنْتَهِزْ   فُرَصَ الـنَّجَاحِ نَفُزْ بِهِ أَوْ نَسْلَمِ
لنْ تَرْجِعُ الـعَرَبِيَّةُ الفُصْحَى إلَى   مَا كَانَ مِنْهَا فِى الـزَّمَانِ الأَقْدَمِ
مَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ الـزَّمَانُ وأَهْلُهُ   وَالـعَادُ وَالأَخْلاَقُ حَتَّى جُرْهُمُ
لِلْجَاهِلـىِّ لِسَانُهُ ، وَمَنِ الَّذِى   يَنْفِى مِنَ الـفُصْحَى لِسَانَ مُخَضْرَمِ ؟
إِنَّ الـتَّجَدُّدَ لِلِّسَانِ حَيَاتُهُ   وَمَنِ الَّذِى يُحْيِيـهِ غَيْرُ المُقْدَمِ ؟
فِى عَصْرِنَا لِلـضَّادِ فَتْحٌ بَاهِرٌ   زِيـدَتْ بِهِ فَخْراً، فَهَلْ مِنْ مَأْثَمِ؟
مَنْ فَرَقَ الأَخَوَيْنَ يَسْتَبِـقَانِ مِنْ   طُرُقٍ لِرِفْعَتِهَا، أَلَيْسَ بِمُجْرِمِ ؟

٤٣ آفات الضغائن

قَدْ شَتَّتَ الضَّغَنُ المُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ شَمْلاً كأَمْتَنِ مَا يَكُونُ جَمِيعاً
أَيَضِيعُ مَجْدٌ لِلْكِنَانَةِ لَمْ يَكُنْ، لَوْلاَ التَّفَرُّقُ بَيْنَكُمْ، لِيَضِيعَا ؟
وَطَنٌ تَحَلَّلْتُم بِبَخْسٍ بَيْعَهُ، اللهَ فِي وَطَنٍ بِبَخْسٍ بِيعَا !

٤٤ مبايعة شوقى

أنشدت فى المهرجان الكبير الذى أقيم فى دار الأوبرا الملكية
تكريماً له فى عام ١٩٢٧

قَبَسٌ بَدَا مِنْ جَانِبِ الصَّحْرَاءِ هَلْ عَادَ عَهْدُ الْوَحْيِ فِي سِينَاءِ؟[1]
أرْنُو إِلى الطُّورِ الأشَمِّ فَأَجْتَلِي إِيمَاضَ بَرْقٍ وَاضِحَ الإِيمَاءِ
حَيْثُ الْغَمَامَةُ وَالْكَلِيمُ مُرَوَّعٌ أرْسَتْ وَقُوراً أَيَّمَا إِرْسَاءِ
دَكْنَاءُ مُثْقَلَةُ الْجَوَانِبِ رَهْبَةً مَكْظُومَةُ النِّيرَانِ فِي الأَحْشَاءِ
حَتَّى تَكَلَّمَ رَبُّهَا فَتَمَزَّقَتْ بَيْنَ الصَّوَاعِبِ فِي سَنًى وَسَنَاءِ
وَتَنَزَّلَتْ أَحْكَامُهُ فِي لَوْحِهَا مَكْتُوبَةً آيَاتُهَا بِضِيَاءِ
أَتُرَى الْعِنَايَةَ، بَعْدَ لأيٍ ، هَيَّأَتْ لِلشَّرْقِ مَنْجَاةً مِنَ الْغَمَّاءِ ؟

(١) إشارة إلى تعيين الحكومة شوقى عضواً فى مجلس الشيوخ عن دائرة سيناء .

ألــــشَّاعِرِيَّةُ لاَ تَزَالُ كَعَهْدِهَا ، بَعْدَ الــنُّبُوَّةِ ، مَهْبِطِ الإِيــحَاءِ
وَالصَّوْتُ إِنْ تَدْعُ الْحَقِيقَةُ صَوْتَهَا وَالــــنُّورُ نُورُ خَيَالِهَا الْوَضَّاءِ



يَا شَيْخَ «سيناءَ» الَّتى بُعِثَ الْهُدَى مِنْ تـيهـــــــــهَا فِى آيَةٍ غَرَّاءِ
سَتَرَى وَأَنْتَ مُعَرِّبٌ عَنْ حَقِّهَا كَيْفَ الْمــــوَاتُ يَفُوزُ بِالأَحْيَاءِ
حَسْبُ القَرِيضِ زِرَايَةً فـــاثأر لَهُ وَارْفَعْ بِنَاءكَ فَوْقَ كُلِّ بِنَاءِ
إِنَّ الــتَّوَاكُلَ وَالتَّخَاذُلَ وَالــقِلَى لأَقَلُّ مَا جَلَبَتْ مِنَ الأَرْزَاءِ
وَتَنَزُّلِ الأَقْوَامِ عَنْ أَخْطَارِهَا وَتَعَسُّفِ الحُكَّامِ وَالــــكُبَرَاءِ
أَبْنَاءُ «يَعْرُبَ» فِى أَسىً مِنْ حِقْبَةٍ شَقِيَتْ بِهَا الآدَابُ جِدَّ شَقَاءِ
جَنَفَ الْبُغَاةُ بِهَا عَلَى أَهْلِ النُّهَى وَاسْتُعْبِدَ الــــعُلَمَاءُ لِلْجُهَلاَءِ
وَتَخَيَّلَ الـــسَّادَاتُ فِى أَقْوَامِهِمْ شُعَرَاءَهَا ضَرْبــــاً مِنَ الأَجْرَاءِ
وَهُمُ الَّذِيـــنَ تَنَاشَدُوا أَقْوَالَهُمْ لِلْفَخْرِ آوِنَةً وَلِلـــــــتَّأْسَاءِ
وَبِفَضْلِهِمْ غُذِيَتْ غِرَاثُ عُقُولِهِمْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَلَذَّ غِذَاءِ[1]

---

(١) الغراث : جمع غرثان ، وهو الجائع .

وَبِنَفْحَةٍ مِنْهُمْ غَدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مِنْ خَالِدَاتِ الـذِّكْرِ فِى الأَسْمَاءِ
أَصْلِحْ بِهِمْ رَأْىَ الأُولَى خَالُوهُمُ آلاَتِ تَهْنِئَةٍ لَهُمْ وَعَزَاءِ
وَلْتَشْهَدِ الأَوْطَانُ مَا حَسَنَاتُهُمْ فِى الْمَنْصِبِ الْعَالِى وَفِى الإِثْرَاءِ
وَلْتَعْلَمِ الأَيَّامُ مَا هُوَ شَأْنُهُمْ فِى كُلِّ مَوْقِفِ عِزَّةٍ وَإِبَاءِ



يَا بَاعِثَ الْمَجْدِ الْقَدِيمِ بِشِـــعْرِهِ وَمُجَدِّدَ الْعَرَبِيَّةِ الْعَرْبَاءِ
أَنْتَ الأَمِــيرُ وَمَنْ يَكُنْهُ بِالْحِجَى فَلَهُ بِهِ تِيـــــهٌ عَلَى الأُمَرَاءِ
أَلْيَوْمَ عِيــدُكَ وَهْوَ عِـيــدٌ شَامِلٌ لِلــــضَّادِ فِى مُتَبَايِنِ الأَرْجَاءِ
فِى «مِصرَ» يُنْشِدُ مِنْ بَنِيهَا مُنْشِدٌ وَصَدَاهُ فِى «الْبَحْرَيْنِ وَالزَّوْرَاءِ»
عِيدٌ بِهِ اتَّحَدَتْ قُلُوبُ شُعُوبِهَا، وَلَقَدْ تَكُونُ كَثِــيــرَةَ الأَهْوَاءِ
كَمْ رِيمَ تَجْدِيـــدٌ لِغَابِرِ مَجْدِهَا فَجَنَى عَلَيْهِ تَشَعُّبُ الآرَاءِ ؟
مَا أَبْهَجَ الشَّمْسَ لاَحَتْ لَهَـــا بَعْدَ الْقُنُوطِ ، وَطَالَعَتْ بِرَجَاءِ
أَلــــشِّعْرُ أَدْنَى غَايَةً لَمْ يَسْتَطِعْ إِدْنَاءَهَا عَزْمٌ وَحُسْنُ بَلاَءِ
مَا السِّحْرُ إِلاَّ شِعْرُ «أَحْمَدَ» مَالِكاً مِنْهَا الْقِيَادَ بِلُطْفِ الإِسْتِهْوَاءِ

قَدْ هَيَّأَتْ آيَاتُهُ لِـوُفُـــــودِهَا   فِى «مِصْرَ» عَنْ أَمَمٍ أَحَبَّ لِقَاءِ[1]

لاَ يُوقِظُ الأَقْوَامَ إِلاَّ مُنْشِدٌ   غَرِدٌ يُنَبِّهُ نَائِـــــمَ الأَصْدَاءِ

كَلاَّ وَلَيْسَ لَهَـــا فَخَارٌ خَالِصٌ   كَفَخَارِهَا بِنَوَابِغِ الــــشُّعَرَاءِ

يَا «مِصرُ» بَاهِى كُلَّ مِصْرٍ بِالأُولَى   أَنْجَبْتِ مِنْ أَبْنَائِكِ الْعُظَمَاءِ

---

(١) أمم : قرب .

٤٥ ترجمة

من لافونتين

مَا بَيْنَ لُصُوصٍ ولُصُوصٍ فَرْقٌ فِي الأَعْلَى وَالأَدْنَى
لِصـــــغَارِهِم المَوتُ المُزْرِى وكِبَارِهِمُ الـــــشَّرَفُ الأَسْنَى

٤٦ تمثال سعد

رأى فى صنعة التمثال

أَلْقُوا الحِجَابَ وأَبْرِزُوا الـتِّمْثَالاَ   أَتَرَوْنَ سَعْداً، أَمْ تَرَوْنَ خَيَالاَ؟
إِمَّا أَنَافَ بِطَيْفِهِ بَعْدَ الـــرَّدَى   فـكَمَا أَنَافَ مَدَى الحَيَاةِ وَطَالاَ
أَثَرٌ مِنَ الــعَيْنِ اسْتَعَارَ حَيَاتَهُ   وَأَعَارَ فَضْلَ حَيَاتِهَا الأَجْيَالاَ
إِنْ تَرْتَعُوا فِى نِعْمَةِ اسْتِقْلاَلِكُمْ   فَتَذَكَّرُوا مَنْ شَادَ الاسْتِقْلاَلاَ
وَتَحَمَّلَتْ آلاَمُهُ آمَالَكُمْ ،   هَلْ حَقَّقَتْ آلاَمُهُ الآمَالاَ ؟
تُبْدِى لَكُمْ فِـى بَارِزَاتِ غُضُونِهِ   كُرَبـاً تَحـــمَّلَـهَا وَكُنَّ ثِقَالاَ
تِلْكَ السِّنُونَ وَمُضْنِيَاتُ هُمُومِهَا   أَلْـقَيْنَ حَــوْلَ المُقْلَتَيْنِ ظِــلاَلاَ

٤٧ البنفسجة

الحسْنُ كُلُّ الحُسْنِ فِى الطَّبِيعَةَ   أُنْظُرْ إِلى آيَتِهَا البَدِيعَهْ
مَاذَا تَقُولُ الزَّهْرَةُ الوَدِيعَهْ ؟
أَمَالَى العَذْبَةُ وَالآلامُ   وَيَقَظَاتُ العَيْشِ وَالأَحْلاَمُ
مِنْ كُلِّ مَا تُدَاوِلُ الأَيَّامُ
أَبُثُّهَا بِنَفَحَاتِ طِيبِى   إِلى البَعِيدِ وَإِلى القَرِيبِ
خَالِصَةً مِنْ رِيبَةِ المُرِيبِ
وَأَمْنَحُ الأَبْصَارَ مِنْ رُوَائِى   مَا فِيهِ قُرَّةٌ لِعَيْنِ الرَّائِى
بِلاَ مُدَاجَاةٍ وَلاَ رِيَاءِ
صُنْتُ جَمَالِى وَبَذَلْتُ عِطْرِى   وَذَاكَ للهِ الكَرِيمِ شُكْرِى
فَإِنْ يَكُنْ شِعْرٌ فَهَذَا شِعْرِى

٤٨ الشاعر

يوقع على وتره الأخير

لحن الرضى وسكينة النفس

مَاذَا يُرِيـــدُ الـــشِّعْرُ مِنِّي ؟ أَخْنَى عَلَيْهِ عُلُوُّ سِنِّي !
هَلْ كَانَ مَا ذَهَبَتْ بِهِ الأَ يَّامُ مِنْ أَدَبِي وَفَنِّي ؟
أَحْسَنْتُ ظَنِّي ، والـــلَّيَا لِي لَمْ تُوَافِقْ حُسْنَ ظَنِّي
وَرَجَعْتُ مِنْ سُوقٍ عَرَضْـ ـتُ بِضَاعَتِي فِيــــهَا بِغَبْنِ
أَفَكَانَ ذَلِكَ ذَنْبَهَا أَمْ كَانَ ذَنْبِي ؟ لاَ تَسَلْنِي
خَمَدَتْ بِيَ الـــنَّارُ الَّتــــي رَفَعَتْ بِعَيْنِ الـــعَصْرِ شَأْنِي
هِيَ شُعْلَةٌ كَانَتْ تُثِـ ـيــرُ قَرِيحَتِي وتُنِيــرُ ذِهْنِي
أَيَّامَ لِي طَرَبٌ وقَلْـ ـــبِي مَوْقِعُ الـــسَّهْمِ المُرِنِّ

لاَ تَنْدبُنِّـــــى للــــــعَظَا ئــم بَعْدَهَــا ، لاَ تَنْدُبُنِّـــى !

يَا مَــــنْ يُحَمِّلُنِـــــى تكَا لِيـفَ الـشَّبَابِ ارْفُــقْ بِوَهْنِــى

زَمَنِــى تَوَلَّـــى وَالأُولَــى عَمَرُوهُ مِـنْ صَحْبِى ، فَدَعْنِى

وَلَّى الــرَّبِيـــعُ وَجَفَّ عُو دِى وَانْقَضَى عَهْــدُ الــتَّغَنِّى

وَعَدِمْتُ لَــــذَّاتِ الــرُّؤَى وَعَدمْتُ لَذَّاتِ الــتَّمَنِّــــىٍّ

إنِّى خَتَمْتُ الــــعَيْشَ فِى وَادى المخيـلَةِ ، أَوْ كَأَنِّـــى[1]

فَإذَا بَــدَتْ لَـــكَ همَّـــةٌ مِنْ دَائِــبٍ يَشْقَــى وَيَبْنِــى ،

فَعَذِيــــرُهُ خَوْفُ الـــتَّشَـ ـبــهِ بِالـرَّحَى مِنْ غَيْرِ طِحْنِ

وَيَكُدُّ كَـــدَّ الـــنَّحْلِ وَهْـ ـــى لِغَيْرِهَا تَسْعَى وَتَجْنِى

أَرْضَى بِأَنْ تـــقْضَى مُنَّى لِلآخَرِيــــــنَ وَإِنْ عَدَتْنِى

أُخْلِى مكَانــــِىَ لِلَّـــذِى يَسْمُو إِلَيــــهِ بِغَيْــرِ حُزْنِ

ولَـقَـــــدْ أَهَشُّ لِمَنْ يُطَا ولُنِى وَإِنْ يَكُ تَحْتَ ضِبـنِى[2]

إِنَّ الحَقِيــــقَةَ، حِينَ نَبْـ ـــلُغُهَا، لَتَكْفِيـــنَا وَتُغْنِى

---

(١) المخيلة : الظن ، يريد : التوهم والتخيل .

(٢) الضبن : ما بين الكشح والإبط ، يريد بمن تحت ضبنه من هو دونه متقاصر عنه .

فِيــــــهَا الجَـلاَلُ بِكُــلٍّ مَعْـ ـــنَاهُ، وَفِيـــــــهَا كُلُّ حُسْنِ
تَتَشَابَـــــهُ الـــتَّرِكَاتُ فِـــى أَنَّا نُعِـــــدُّ لَهَـــــا وَنَقْنِى[1]
فَإِذَا تَوَلَّيْنَـــــا فَهَـــــل أَسْـــمَاؤُنَا مِنَّــــا سَتُغْنِى ؟
إِنْ نَبْـــقَ وَالأَرْوَاحُ قَـــدْ ذَهَبَتْ، فَمَا الأَسْمَاءُ تَعْنِى ؟
لَوْ لَمْ يَكُــنْ فــى الـذِّكْرِ لِلـ أَعْقَابِ نَفْــعٌ لَـــمْ يَشُقْنِى
أَمَّا الجَـــزَاءُ فَإِنَّـــنِى اسْتَـ ـــتَوْفَيْتُ مِنْـــهُ فَـــوْقَ وَزْنِى
فِـى الحَـاضِرِ اسْتَسْلَفْتُ مَـا سَيَقُولُهُ الـــتَّالُونَ عَنِّـــى[2]

---

(١) نقنى : نحفظ وندخر .

(٢) استسلفته : استقدمته ونلته فى الحاضر .

الفهرس

رقـم الإيــــداع ١١٢٢٠ / ٩٩

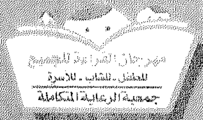
الترقيم الدولى S.B.N 977-01-6385-6



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل . للشاب . للأسرة كلها . تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩



١٢٥ قرشاً